يوحنا النقيوسي والفتح الإسلامي لمصر

[قراءة نقدية لكتاب تاريخ العالم القديم]

د. محمد بنناجة

كلية الآداب / جامعة السلطان مولاي سليمان، بني ملال، المغرب

الملخص

لقد كان للتاريخ الإسلامي أهمية كبيرة في فهم طبيعية الديانة الإسلامية، وفي توضيح الاحداث والسير التي تجيب على كثير من الأسئلة الحرجة والاتهامات المغرضة التي ألصقت بالإسلام والمسلمين، في سياق متوتر عالمي مناهض لكل الأديان باعتبارها تشكل خطرا على المنظومة المادية المعولمة.

ويعد الكتاب الذي بين أيدينا نموذجا فريدا من نوعه ليس فقط في مجال التاريخ العام. ولكن قيمته العظيمة منقطعة النظير التي تمس جوهر الديانة الإسلامية باعتبار كاتبه من المثقفين المصريين الأقباط المسيحيين الذي عاصروا النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين وأدركوا فتح مصر من بدايته الى نهايته. وقد سجل لنا أسقف مدينة نقيوس المصرية القبطي يوحنا النقيوسي في تاريخه ذي ١٢٢ فصلا، تاريخ العالم مذ بدء الخليقة وحتى أواخر القرن السابع الميلادي. وقد أسهب في سرد الحوادث الخاصة بالفتح

الإسلامي لمصر والتي كتبها كشاهد عيان مما جعل لكتابه قيمة كبرى، ومصدرا لا غنى عنه لكل باحث في تاريخ ذلك العصر. خصوصا وأن كتب التاريخ الإسلامي والسير لم تقيد تفاصيل هذه الحملة الا بعد القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي. أي ان هذا الكتاب يتقدم تاريخيا على اقدم المصادر الإسلامية بقرنين من الزمن مع الشهودية الزمانية والمكانية. وقد تضمن أحداث الفتح الإسلامي بأدق تفاصيله. غير ان الرواية النيقوسية كغيرها من الشهادات الخارجية لم تخل من تجن على المسلمين وافتراءات كثيرة عليهم: فقد تحدث في الفصل ١١٠ عن ظهور الإسلام على ارض الفيوم وفشل الرومان المقيمين هناك ، ومعلوم من أحكام الإسلام وحكم المسلمين تحريم قتل الشيوخ والأطفال والنساء. فمن أين جاء النقيوسي بهذا التجني؟؟؟ كما ينتقد النقيوسي تواطؤ الحكام الرومان مع المسلمين بأسى ولعل أهم ما يفسر ذلك، الى جانب هذا العداء النقيوسي تجاه المسلمين، اعتناق المصريين للإسلام افواجا وتنصلهم من الديانة المسيحية . ومع ما في هذا المصدر العزيز من تجنى على المسلمين، فإن الكاتب يذكر غير متنبه لكثير من الحقائق التي تتوافق وسماحة الإسلام وحسن تعامل المسلمين مع غيرهم. ومن ذلك ما وقع مع "البابا بنيامين (البطريرك الـ ٣٨) هارباً من قيرس (المقوقس) البطريرك الملكاني، وبعد الهزيمة التي مني بها الروم ورحيل جيشهم عن مصر، كتب عمرو بن العاص كتاب أمان للبابا بنيامين يؤمنه على دينه وطائفته ويضمن له الحماية والسلام . كما ينقل النقيوسي افراج المسلمين عن السجناء من الروم الأورثوذكس والذي كانوا آريوسيين –وهم منكري الوهية المسيح وقدسية الثالوث – الذين سرعان ما تحولوا كلهم للإسلام لأنهم رأوا فيه تطابقا مع معتقداتهم. وهذا الفعل قد أثر كثيرا في النقيوسي وجرح مشاعره. حقيقة، إن فتح مصر فتح عظيم لأنها ستكون مدخلا من مداخل الفتح الإسلامي لبلاد الغرب الإسلامي فيما بعد.

John of NikiÛ and the Muslim Conquest of Egypt

(A critical reading of the World Chronicle of John, Bishop of NikiÛ)

Dr. Mohamed Bentaja

College of Arts / University of Moulay Souleiman

Beni Mellal, Morocco

Abstract

Nobody can deny the significant role of Islamic history in inculcating a greater understanding of the nature of the Muslim religion and in clarifying past events and biographies that respond to the numerous critical questions and the false and malicious accusations against Islam and Muslims, especially in this tense global context that is witnessing a growing anti-religious culture and rhetoric and vilification of religions that are being considered as a threat to the materialistic and globalized world.

The Chronicle of John, Bishop of NikiÛ is so unique not only in the field of general history but also regarding its immense worth and value that touches upon the very core of the Muslim religion and thanks to its writer who was a

Coptic Christian and one of the prominent Egyptian intellects who were contemporaries of both Prophet Mohammad (PBUH) and the Orthodox Caliphs and who witnessed the end-to-end Muslim conquest of Egypt. In his Chronicle with its one hundred and twenty-two chapters, John, the Coptic Bishop of Nikiu, has put together accounts of the primitive events from Adam until the 7th century. He also, as an eyewitness, elaborated and dwelt upon the events relating to the Muslim conquest of Egypt, which made his Chronicle so valuable and indispensable to any researcher concerned with that era, and especially if we take into consideration that the events relating to such a conquest were not recorded and documented in Islamic history books until the 8th century. That is to say, this Chronicle has documented the events in time and place and was, chronologically speaking, two centuries ahead of the most ancient Islamic books and included in detail all the events relating to the Muslim conquest of Egypt. However, John of Nikiu's version of the events, and like most other outsider testimonies, did not come without tarnishing the image of Islam and Muslims through inventing numerous fabrications and slanders: In chapter 110, he mentioned the emergence of Islam in the land of "El Fayoum" and the failure of the Roman residents there and he stated

المقدمة

إن فهمنا للواقع المعاصر رهين بفهمنا للتاريخ والوقائع القديمة التي أنتجته. ولم تزل الأمة العربية الاسلامية، تتعرض لحملات التشويه والتزوير لدينها وتاريخها وحضارتها. فقد اعتبُرت أمة السيف والعنف والاكراه من لدن فئات من المستشرقين وسيئي النية من كتاب ومؤلفين.

والفتح الاسلامي لمصر، مثال على فرادة الأمة العربية الاسلامية. وأصالة مشروعها الحضاري، التي بانت فيه على همة كبيرة في استئصال الاضطهاد، العمل على تغيير الواقع، والبحث عن موطئ قدم ضمن الأمم الأكثر تقدما.

لقد كان فتح مصر بداية لاتساع رقعة الدولة الاسلامية غربا. ما يعني تمكينا أكبر للإسلام في الانتشار وإخراج الناس من عبادة العباد الى عبادة رب العباد. لكنه ايضا تمكين اقتصادي واجتماعي وحضاري سواء على مستوى الرفع من الموارد المالية والثرواتية للدولة أو على مستوى اغناء الثقافة العربية بثقافات الشعوب المفتوحة غرب شبه الجزيرة العربية والاستفادة من تراكماتها الحضارية والعلمية والعمرانية...الخ

كما كان فتح مصر هو البداية. فكان لزاما علينا كباحثين، فهم السياقات التي أطرت وقائع هذا الفتح. والتعرف على الأحداث التي صاحبته بعين ناقدة ومطلعة وشاهدة ومنصفة. فكان اختيارنا لهذا الكتاب النفيس الذي يعد المصدر الوحيد لدينا حتى الآن الذي صيغ في زمن الفتح وكان كاتبه شاهد عيان على دخول الفاتحين المسلمين الى أرض مصر القبطية المسيحية. وقد أورد كاتبنا وهو اسقف مدينة نقيوس المصرية..... يوحنا النقيوسي في كتابه الموسوم بـ "تاريخ العالم القديم" وقائع عزيزة لم ترد في مصادرنا العربية، التي تأخرت عنه بقرنين من الزمن. خصوصا فيما يرتبط بوصف الجبهة الداخلية المصرية. والأحداث التي زامنت الفتح وسط الجمهور القبطي المسيحي من جهة وبين القيادات القبطية من جهة ثانية وبين القيادات المصرية والرومانية من جهة ثالثة وبين القيادات الرومانية من جهة رابعة. وقد كانت هذه الأحداث الداخلية بمصر من تبعات وآثار التفاعل المصري الداخلي مع دخول الفاتح العربي المسلم. ونظرا لانشغال هؤلاء بتركيز الوجود الاسلامي في

البلاد المصرية المفتوحة غفلت المصادر العربية عن هذه الأحداث ما سيكون له الأثر البليغ في فهم الحالة المصرية زمن الفتح من جوانبها الأخرى التي تبرزها هذه الوقائع المهدورة من المصادر العربية. ومع ذلك، فقد كان للخلفية الدينية للكاتب دورا في توجيه خطابه وتفسيره لكثير من الواقع التاريخية التي شهد عليها. حتى جاءت شهادته في كثير من الأحيان وكما سنبين مشوهة تشويها متعمدا ومجانبة للمنطق وللواقع النفسي والديني والأخلاقي للفاتحين. فقد ساق كثيرا من الأحداث بسلبية فائقة وصلت الى حد التحقير والتهوين بل والسب والشتم خصوصا في شخص رسول الله صلى الله عليه وسلم. كما وضع النقيوسي اللبنات الأولى لاتهام المسلمين بالعنف ونشر الدّين بالسيف والاكراه ونهب الأموال وتذبيح الأقباط وانتهاك الحرمات ونشر الفساد فصار كتابه هذا مرجعا لكل طاعن على الاسلام، ومُتّكأ لأعداء الاسلام، يتكؤون عليه للطعن في التاريخ الاسلامي المجيد، دون تبصر علمي وتثبت من الوقائع، نظرا للقراءة التاريخية من وجهة نظر المغلوب، والتي غالبا ما تحفها قرائن التشويه ومحاولة الانتصار للذات ولو بأي وسيلة. ومع ذلك، فقد وردت الكثير من الاشارات الايجابية تجاه المسلمين، لم يستطع النقيوسي تجاهلها مع خضوعه لنفسيته المحبطة؛ ما وضع الكاتب في حالة من التناقض الذاتي بين الرغبة في التشويه والرغبة في ابراء الضمير واعلان صحيح الشهادة وحقيق الوقائع. وقد جاء بحثنا هذا قراءة نقدية متواضعة للوقائع التاريخية لفتح المصر المجيد. مستعينين بالله تعالى ثم بالرواية من مصادرنا العربية الإسلامية. خصوصا وأن المسلمين في تلكم الفترة كانوا شديدي الحرص على تفعيل أحكام الشريعة الاسلامية عمليا، ما يستحيل معه أي تجاوز ممنهج ومقصود تجاه الأقباط المسيحيين. ومن خلال هذه المنهجية في القراءة التاريخية ومراعاة تحديات الواقع نفسر ما صدر عن المسلمين من تقصير إن وجد.

الفتح الاسلامي تجربة بشرية. لا نزعم لها العصمة. والخطأ فيها وارد خصوصا في وقت الحرب واحتدام النصال. لكننا نريد ان يُنصف التاريخ الاسلامي بماله وما عليه. بعيدا عن أي تحيز اعمى سياسي أو ديني. وقد كان للمسلمين بشهادة كثير من مؤرخي الكنيسة القبطية المصرية الجانب الأوفى من التحلي بأخلاق السماحة مع المخالفين دينيا، وان كانت لدى البعض تصنعا، فهي لدى المسلمين فريضة دينية وعبادة شرعية يتقرب الى الله تعالى بها. والله الموفق

مدخل :

سجل أسقف مدينة نقيوس المصرية القبطي يوحنا النقيوسي في تاريخه ذي ١٢٢ فصلا، تاريخ العالم مذ بدء الخليقة وحتى أواخر القرن السابع الميلادي. وقد أسهب في سرد الحوادث الخاصة بالفتح الإسلامي لمصر والتي كتبها كشاهد عيان مما جعل لكتابه قيمة كبرى، ومصدرا لا غنى عنه لكل باحث في تاريخ ذلك العصر. خصوصا وأن كتب التاريخ الإسلامي والسير لم تقيد تفاصيل هذه الحملة الا بعد القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي. أي ان هذا الكتاب يتقدم تاريخيا على اقدم المصادر الإسلامية بقرنين من الزمن مع الشهودية الزمانية والمكانية. وقد تضمن أحداث الفتح الإسلامي بأدق تفاصيله. ترى من هو الأسقف يوحنا النقيوسي؟ وما مدى مصداقيته العلمية والتاريخية؟ وماهي طبيعة كتابه الذي أرخ فيه كل هذا التاريخ العظيم؟ هذا ما سنقف عليه فيما يأتي من نقاط بحثية، على قدر المتوفر لدينا من المعلومات على ندرتها.

١-التعريف بيوحنا النقيوسي

يسمى أيضا حنا النيقاوي، نسبة الى مدينة نقيوس المصرية القديمة. وهي مدينة كما يقول القس منسي يوحنا "بمركز منوف وتسمى باليونانية أبشاتي، وبقربها الآن -١٩٢٤م-زاوية رزين وآثار الكنائس باقية بها)[١]. ولد بنقيوس، ولا نعلم على وجه التحديد تاريخ ولادته رغم اشتهاره وعلو مكانته الدينية واعتلائه أسقفية الوجه البحري على عهد البابا سيمون الأول (٦٩٢م-٧٠٠م).

عاش الأسقف يوحنا النقيوسي في عهد باباوية البطريرك بنيامين الاول (بابا إسكندرية)، البابا رقم ٣٨ خلال الفترة من سنة٦٢٥ م وحتى سنة ٦٦٤م. وعاصر أيضا البابا يوأنس الثالث (بابا إسكندرية) البطريرك رقم٤٠ على الكرسي الباباوي(٦٨٠ م-٦٨٦م)، ثم البابا إيساك (اسحاق الاول، بابا إسكندرية) البطريرك رقم ٤١(٦٨٦م-٦٨٩ م). والبابا سيمون الاول (بابا الإسكندرية) البطريرك رقم٤١ (٦٩٢ م-٧٠٠م) الذي سامه أسقفا على مسقط رأسه مدينة نقيوس[٢]. ولعل قلة المعلومات عن هذا العلم من أعلام الكنيسة القبطية راجع الى اعتماد الكنيسة القبطية

منهجيا على التقليد الديني الشفوي والعملي المتوارث في نقل الأخبار الدينية والتاريخية المقدسة. ولعل أشهر ما نستدل به في هذا المقام هو القديس باسيليوس الذي أكد سنة ٣٧٥م في كتابه على الوهية الروح القدس[٣] معتمدا على التقليد الديني المتسلم من جيل الى جيل. ومعلنا على أن الاعتماد على النصوص الدينية وحدها غير كاف في تبيان اللاهوت والليتورجيا المسيحية. وهذه المنهجية وإن كانت أضمن من التدوين التاريخي، لكنها تختزل المعلومات التاريخية، وتجعلها ضئيلة كما هو الحال بالنسبة لعلم شهير دينيا في الكنيسة المسيحية القبطية، لكن معلوماتنا عنه ناقصة للغاية كما هو حال الأسقف يوحنا النقيوسي.

كانت مدينة نقيوس عاصمة الاقليم الرابع في مصر الفرعونية، وتسمت (نيت رسى) أي نقيوس وتحولت في العهد الروماني الى مركز تجاري هام وتتضمن ميناءا شهيرا، ما جعلها مدينة غنية اقتصاديا ومنفتحة ثقافيا وعلميا على كثير من الحضارات والثقافات والأديان. الشيء الذي وسع مدارك النقيوسي وجعله واسع الاطلاع على الكتب المقدسة وقراءاتها الفلسفية الاغريقية واليونانية والهلنستية وغيرها. ما أهله لدخول دير القديس مقاريوس الكبير حتى نجب في الرهبنة والتعليم الأرثوذكسي، فعين سكرتيرا للبابا التاسع والثلاثون أغاثون(٦٦١-٦٧٧م). كما لازم الباباوات الأرثوذكس إسحاق البطريرك(٦٨٦-٦٨٩م) والباب سيمون البطريك(٩٨٩-٧٠١م).

وقد عرف هذا الأسقف زمن سيامته للأسقفية على الوجه البحري بما فيه مدينته نقيوس، شدته وقسوته على المخالفين للقوانين الكنسية. فقد حكم على احد الرهبان ممن ضبطوا في الفاحشة "فلما ظهر ذلك بين الرهبان جزعوا وارتعبوا وانتهى الخبر الى مسامع الأنبا يوحنا، فقام بتأديبه وضربه ضربا موجعا حتى مات بعد عشرة أيام من شدة الضرب. فلما بلغ الأساقفة في مصر خبر موت الراهب اجتمعوا سرا وسألوا الأنبا يوحنا عن القضية فاعترف أمامهم أنه هو الذي ضربه **فأوجبوا عليه القطع** لكونه تعدى على الواجب وحرموا عليه أن يتقدم لرفع الأسرار الربية بل يتناولها كراهب..."[٤]. وهذه الشدة الطبعية ستلاحظ في أسلوبه في الحديث على المسلمين

محاولة الانتقاص منهم بشتى الأوصاف السلبية الموجودة، كما سيأتي، كوصفه لهم ب"الاسماعيليين' تحقيرا لهم وتبكيتا وهذا سيكون مدخلا من مداخل الوهن في الرواية العيانية النقيوسية.

أما عن وفاته، فليس لدينا أيضا تاريخا دقيقا عنها. غير انه كان ممن عمروا طويلا بعد الفتح الإسلامي لمصر الكنانة. يقول الأنبا بيشوي " يغلب على الظن أن هذا الأب لم يعمر طويلا بعد هذه الحادثة (يقصد حادثة معاقبته من طرف الكنيسة على قتله للراهب معاقبة له)، فقد عاصر في نهاية أيامه الحكم الأموي، حيث كان الاضطهاد قد اشتد !!![٥] ، بسبب أمانة الأب في الدفاع عن الايمان، ومحبته للمسيح وقوميته، فالقوا القبض عليه، ونفوه عن كرسيه ايضا الى احدى الجزر في النيل...حيث قضى بقية حياته وشيخوخته هناك، وبسبب كثرة آلامه وكبر سنة أصيب بفقد بصره...**الى أن تنيح بسلام في بداية القرن الثامن الميلادي**"[٦].

ب-النقيوسي والمصداقية التاريخية

لقد عرف الأسقف يوحنا النقيوسي في التقليد الكنسي للكرازة المرقسية، بوجود شكوك في مصداقيته العلمية والتاريخية. فقد ذكر ساويرس بن المقفع في كتابه "تاريخ البطاركة" عن القديس انبا يوساب قوله: لما تنحى الاب يوحنا اجتمع الاساقفة والكتبة واتفقوا على ترشيح شماس يسمى جرجة لكى يرسموه ولم يتبعوا وصية البابا السابق انبا يوحنا وقالوا نعمل هذا زوراً من غير اذن الوالي عبد العزيز وان سألنا قلنا له ان البطريرك المتنيح هو الذى اوصى بهذا ثم كتبوا كتابا بذلك وجعلوه قسا ورهبونه زعموا انه راهب"[٧] . ويذكر القس منسى يوحنا القبطي اسماء الاساقفة الذين كانوا في مقدمة المزورين قائلا: "وفي مقدمتهم غريغريوس اسقف القيس ويعقوب اسقف ارواط **ويوحنا اسقف نقيوس**"[٨] . فتزوير الأسقفية هو من الأعمال الشنيعة جدا في الديانة المسيحية. نظرا لحساسية هذا المنصب وتراتبيته العليا ضمن التراتبية داخل الكنيسة الأرثوذكسية المصرية. ومن قام بهذا العمل الشنيع، فلا غرابة من قيامه بتزوير حقائق التاريخ، خصوصا تجاه الفاتحين الجدد من العرب، حملة الدين الجديد الذي سيقوض أركان الكنيسة وسيهدد سلطان يسوع المسيح على قلوب الآلاف من عباده.

ت–التعريف بكتاب تاريخ العالم القديم

كتب يوحنا النقيوسي تاريخه الموسوم ب "تاريخ العالم القديم"، راميا إلى التأريخ للعالم منذ بدء الخليقة وحتى اواخر اواسط القرن السابع الميلادي (حوالي ٦٤٤ م). وقسمه الى ١٢٢ فصلا .

أما عن اللغة الأولى للمخطوط فهي اللغة القبطية؛ ثم ترجم بعدها إلي اللغات اليونانية والعربية والحبشية القديمة المعروفة باسم لغة (الجيز)، غير أنه لم تصل الينا الا الترجمة الحبشية المحفوظة في الكنيسة الأثيوبية . ويذكر المترجم الحبشي أنه أستعان في الترجمة الحبشية عن العربية بالشماس غبريال المصري. ولقد ختم الترجمة بقوله في آخر الكتاب "لقد عنيت أنا الصغير بين الناس مع الشماس غبريال القبطي بترجمة هذا الكتاب من العربية إلى الحبشية القديمة بمنتهي الدقة. وقد أدينا هذه الترجمة نزولا عند إرادة الملكة مريم سنا؛ وأثناسيوس قائد الجيش الأثيوبي والملكة مريام سنا" وكان ذلك سنة ٩٨٠ هجرية[٩] الموافق ١٥٧٢م.

اما القائد أثناسيوس فهو حاكم إحدى الأمارات الأثيوبية، وزوج أحدى بنات الإمبراطور سجدا الأول. ولقد قام المستشرق الفرنسي زونتبرج بترجمة الكتاب إلي اللغة الفرنسية عام ١٨٨٣م. ثم جاء من بعده العالم الانجليزي تشارلز وترجم النص الأثيوبي الي اللغة الانجليزية عام ١٩١٦م؛ كما ترجم المؤرخ القبطي المعروف كامل صالح نخلة شذرات قليلة من تاريخ يوحنا النقيوسي عن الترجمة الفرنسية التي بها قام بها زونتبرج ونشرها في مجلة صهيون عامي ١٩٤٨ و١٩٤٩ . وأخيرا قام الأستاذ الدكتور عمرو صابر عبد الجليل بعمل ترجمة كاملة للمخطوط عن اللغة الأثيوبية ونشرها في كتاب صدر تحت عنوان "**تاريخ مصر ليوحنا النقيوسي رؤية قبطية للفتح الإسلامي** " عام ٢٠٠٠ ؛كما قام المؤرخ عبد العزيز جمال الدين بعمل تحقيق لهذه المخطوطة ونشر نتيجة التحقيق في كتاب صدر عام ٢٠١١. وأقدم المخطوطات المعروضة حاليا لهذا الكتاب موجودة في المكتبة الوطنية بباريس ضمن كتالوج زونتبرج للمخطوطات الأثيوبية؛ وترجع للقرن السابع عشر. ومخطوطة أخرى في المتحف البريطاني ضمن مجموعة من المخطوطات الأثيوبية وترجع للقرن الثامن

عشر. والجدير بالذكر ان المستشرق زونتبرج قد ذكر رأيا أن اللغة الأصلية للمخطوط هي اللغة اليونانية وليست القبطية؛ غير أن العالم المصري الدكتور مراد كامل (١٩٠٧- ١٩٧٥) قد تصدى للرد على هذا الرأي بالأدلة التالية : ١- من المستبعد على كاتب قبطي متمسك بقوميته المصرية أن يكتب لمواطنيه تاريخ العالم بلغة مضطهديهم من الرومان. ٢- اللغة اليونانية قد أخذت في الانقراض من مصر منذ القرن الخامس الميلادي على يد الانبا شنودة رئيس المتوحدين. ٣- صيغة أسماء الأعلام في النص الحبشي تدل علي أنها أخذت عن أصل قبطي(١٠). والتاريخ يتضمن ١٢٢ فصلا، ابتدأ فيها بالحديث عن فتح المسلمين لمصر من الفصل ١١١ الى الفصل ١٢١ وفي الفصل ١٢٢ جعل يلخص موضوع الكتاب والمقصد الأسمى من كتابته. وفي الفصل ١١٦ تحدث عن هزيمة الرومان امام المسلمين بسبب اعتدائهم على المستضعفين الأقباط. وفي الفصل ١١٧ بين كيف فتح المسلمون قلعة بابليون بعد حصارها لمدة سبع سنوات؟ واطلاق سراح الهراطقة الآريوسيين المنكرين لألوهية المسيح المضطهدين من لدن المثلثة. في الفصل ١١٨ يصف فتح مدينة كبرياس عبديا، الذي تركها الرومان هروبا من جيش عمرو بن العاص رضي الله عنه. كما يصف استيلاء المسلمين على مدينة نقيوس التي كانت خالية تماما من أي مقاومة عسكرية. كما يصف ما يسميه بمذابح المسلمين لكل من قابلهم في الشوارع والكنائس؟!! رجالا ونساء واطفالا !!! بدون رحمة وتخريب البيوت والكنائس والمعابد...الخ وفي الفصل ١١٩ يتحدث النقيوسي عن الانقسام الذي أصاب الوجه البحري المصري، حيث انقسم المصريون الى فريقين: فريق مع القائد ثيؤدور لمقاومة المسلمين والآخر يريد الانضمام الى المسلمين. وما دار بينهم من حروب وفتن. وكيف قام المسلمون بمساعد الفريق الذين يريدون الانضمام اليهم بالاستيلاء على الاسكندرية وقرية كيريوون التي كانت تحت سيطرة تيؤدور. كما تحدث فيه عن الصراع الذي كان بين القائدين الرومانيين حاكم الوجه البحري ثيودور وحاكم اقليم مصر ميناس (وسط وجنوب البلاد المصرية) ، وكيف كانت هذه العداوة تترجم الى حروب سياسية ساهمة في اضعاف الوحدة الداخلية المصرية لصالح المسلمين(العدو

الخارجي). وفي الفصل ١٢٠ يتحدث عن رغبة الشعب المصري والبطريرك كرلس الخلقيدوني[١١] والرومان في عقد صلح مع المسلمين. وكيف أخرته حوادث رومانية سياسية دينية من قبيل انشغال المصريين بتغيير الامبراطور هرقل الصغير باعتباره نتيجة **زواج المحارم (هرقل القديم ومارتين ابنه أخيه)**، كما يتحدث عن الصلح الذي ابرم في النهاية بين عمرو بن العاص رضي الله عنه والبابا كرلس. والتفاصيل التي يتضمنها هذا الصلح وأثرها على الحياة في ارض مصر. وفي الفصل ١٢١، يتحدث النقيوسي عن البطريرك بنيامين من المنفى سنة ٦٤٣م، وفيه ينقل أيضا مواقف عامة المصريين من انتصار المسلمين وهزيمة الرومان والأسباب اللاهوتية في ذلك. كما يتحدث عن رفع عمر بن الخطاب رضي الله عنه للجزية وعجز العامة عن ادائها. وحيلهم في تجنب ادائها وكيف تصرف المسلمون حيال ذلك؟؟

وقد اعتمدنا في قراءة هذا الكتاب على النسخة العربية للأستاذة ليزة عزيز اسكندر تحت اشراف الانبا بيشوي والتي ترجمتها عن نسخة فرنسية التي هي بدورها ترجمة عن الانجليزية عن نسخة حبشية والتي عملها المستشرق زوتنبرج سنة ١٨٨٣م بعنوان: "Chronique de Jean de Nikious".

المحور الاول: النقيوسي وموقف المسلمين الفاتحين

يعد تاريخ النقيوسي المسيحي مصدرا من مصادر الفتح الإسلامي لمصر. **فهو قراءة للتاريخ من وجهة نظر المغلوب لا الغالب.** وهذا التموقع التأويلي للتاريخ، له أثره في تناول الأحداث وتسمية الشخصيات وتقديم الحقائق. غالبا ما يتسم هذا التاريخ نوعا من اللاموضوعية والعدائية، خاصة من لدن رجال الدين المسيحي كما هو شأن النقيوسي نظرا لانحسار مد الكنيسة الأرثوذكسية سواء على قلوب الآلاف من أتباعها الذين اختاروا دخول الاسلام طواعية أو مصلحية، وأيضا لتقلص مداخيل الكنيسة التي كانت تقدم لها في الأعياد والمناسبات والمواسم الفلاحية والدينية. ما شكل خطرا حقيقيا على وجودها واستمراريتها في الكرازة والتبشير. لذلك لم يفت النقيوسي فرصة في الطعن على المسلمين وتشويه تاريخهم ودخولهم لمصر.

١-النقيوسي والموقف من المسلمين(الإسماعيليين)

كان للنقيوسي مواقف سلبية جدا تجاه المسلمين. فقد كان محبط النفسية شديد الهم والغم من الواجد الاسلامي في مصر واتساع رقعة السيطرة الاسلامية على القرى والمدن المصرية. وقد انعكست نفسيته المحبطة في تسمية المسلمين الى درجة السب والقذف، ولم يترك صفة من صفات الدم الا وألصقها بهم، حتى طال نبي الاسلام سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم. يقول النقيوسي "والآن، كثير من المصريين الذين كانوا مسيحيين كذبة وأنكروا العقيدة المقدسة الأورثوذكسية والمعمودية الحية، وساروا في عقيدة الاسلام أعداء الرب وقبلوا التعليم الركس للحيوان ..." [١٢]. كما كان يسمي المسلمين بالإسماعيليين تحقيرا لهم وتبكيتا في مواضع كثيرة، فقال" بعدما استولى المسلمون على مقاطعة القويم طلب عمرو من اباكير بمدينة دلاس ان يحضر السفن من الريف لينقل الاسماعيليين على الضفة الشرقية"[١٣].

٢-النقيوسي وفتح المسلمين لمصر: هل رحب المصريون بالمسلمين؟

جوابا على هذا السؤال، سنحاول تبصره من خلال النقاط الآتية:

أ-سبب دخول المسلمين لمصر

لقد كان المسلمون صريحين في فتحهم لمصر. اذ لم تكن لهم وراء فتحهم هذا بغية دينية وحيدة كنشر الاسلام أو اخراج أهلها من الظلمات الى النور. بل كان سعيهم أيضا توسيع رقعة الدولة الاسلامية والزيادة من خزائن وأموال بيت مال المسلمين. نظرا لما عرفت عليه مصر من كثرة خيراتها ووفرة مياهها وغنى أهلها. ويسوق ابن عبد الحكم المصري –ت٢٥٧هـ– قصة استنفار عمرو بن العاص لعمر بن الخطاب لفتح مصر قائلا –وسأسوق الرواية مطولة نظرا لأهميتها في فهم السياق التاريخي لهذا الفتح الاسلامي المجيد– قائلا "ثمان بن صالح قال فلما كانت سنة ثماني عشرة وقدم عمر الجابية **خلا به عمرو بن العاص فاستأذنه في المسير إلى مصر**، وكان عمرو قد دخل مصر في الجاهليّة وعرف طرقها **ورأى كثرة ما فيها، وكان سبب دخول عمرو إياها** كما حدثنا يحيى بن خالد العدوىّ عن ابن لهيعة ويحيى بن أيوب عن خالد بن يزيد أنه بلغه أن عمرا قدم إلى بيت المقدس لتجارة في

نفر من قريش فإذا هم بشمّاس من شمامسة الروم من أهل الإسكندرية قدم للصلاة في بيت المقدس، فخرج في بعض بالها يسيح، وكان عمرو يرعى إبله وإبل أصحابه، وكانت رعية الإبل نوبا بينهم. فبينا عمرو يرعى إبله إذ مرّ به ذلك الشمّاس وقد أصابه عطش شديد في يوم شديد الحرّ، فوقف على عمرو فاستسقاه فسقاه عمرو من قربة له، فشرب حتى روى ونام الشمّاس مكانه. وكانت إلى جنب الشمّاس حيث نام حفرة فخرجت منها حيّة عظيمة، فبصر بها عمرو فنزع لها بسهم فقتلها، فلما استيقظ الشماس نظر إلى حيّة عظيمة قد أنجاه الله منها. فقال: لعمرو: ما هذه؟ فأخبره عمرو أنه رماها فقتلها. فأقبل إلى عمرو فقبل رأسه وقال: قد أحياني الله بك مرّتين، مرّة من شدّة العطش، ومرّة من هذه الحيّة. فما أقدمك هذه البلاد؟ قال: قدمت مع أصحاب لي نطلب الفضل في تجارتنا. فقال له الشمّاس: وكم تراك ترجو أن تصيب في تجارتك؟ قال: رجائي أن أصيب ما أشترى به بعيرا، فإني لا أملك إلّا بعيرين، فأملى أن أصيب بعيرا آخر فتكون ثلاثة أبعرة فقال له الشمّاس: أرأيت دية أحدكم بينكم كم هي؟ قال: مائة من الإبل. قال له الشمّاس: لسنا أصحاب إبل إنما نحن أصحاب دنانير قال يكون ألف دينار فقال له الشمّاس: إني رجل غريب في هذه البلاد وإنما قدمت أصلّى في كنيسة بيت المقدس وأسيح في هذه الجبال شهرا جعلت ذلك نذرا على نفسى وقد قضيت ذلك وأنا أريد الرجوع إلى بلادي فهل لك أن تتبعني إلى بلادي ولك عهد الله وميثاقه أن أعطيك ديتين لأن الله تعالى أحياني بك مرّتين فقال له عمرو أين بلادك؟ قال: مصر في مدينة يقال لها الإسكندرية فقال له عمرو لا أعرفها ولم أدخلها قطّ فقال له الشمّاس لو دخلتها لعلمت أنك لم تدخل قطّ مثلها فقال عمرو وتفي لي بما تقول وعليك بذلك العهد والميثاق؟ فقال له الشمّاس نعم لك الله علىّ بالعهد والميثاق أن أفي لك وأن أردّك إلى أصحابك فقال عمرو وكم يكون مكثي في ذلك؟ قال شهرا تنطلق معي ذاهبا عشرا وتقيم عندنا عشرا وترجع في عشر ولك علىّ أن أحفظك ذاهبا وأن أبعث معك من يحفظك راجعا فقال له عمرو أنظرني حتى أشاور أصحابي في ذلك فانطلق عمرو إلى أصحابه فأخبرهم بما عاهده عليه الشمّاس وقال لهم تقيموا علىّ حتى أرجع إليكم ولكم علىّ العهد أن أعطيكم شطر

ذلك على أن يصحبني رجل منكم آنس به فقالوا نعم وبعثوا معه رجلا منهم، فانطلق عمرو وصاحبه مع الشمّاس إلى مصر حتى انتهى إلى الإسكندرية، فرأى عمرو من عمارتها وكثرة أهلها وما بها من الأموال والخير ما أعجبه، وقال ما رأيت مثل مصر قطّ وكثرة ما فيها من الأموال ونظر إلى الإسكندرية وعمارتها وجودة بنائها وكثرة أهلها وما بها من الأموال فازداد عجبا. ووافق دخول عمرو الإسكندرية عيدا فيها عظيما يجتمع فيه ملوكهم وأشرافهم ولهم أكرة من ذهب مكلّلة يترامى بها ملوكهم وهم يتلقّونها بأكمامهم. وفيما اختبروا من تلك الأكرة على ما وضعها من مضى منهم أنها من وقعت الأكرة في كمّه واستقرّت فيه لم يمت حتى يملكهم. فلما قدم عمرو الإسكندرية أكرمه الشمّاس الإكرام كلّه وكساه ثوب ديباج ألبسه إيّاه وجلس عمرو والشمّاس مع الناس. في ذلك المجلس حيث يترامون بالأكرة وهم يتلقّونها بأكمامهم فرمى بها رجل منهم فأقبلت تهوى حتى وقعت في كمّ عمرو فعجبوا من ذلك وقالوا ما كذبتنا هذه الأكرة قط إلّا هذه المرّة. أترى هذا الأعرابي يملكنا هذا ما لا يكون أبدا! وان ذلك الشمّاس مشى في أهل الإسكندرية وأعلمهم أن عمرا أحياه مرّتين وأنه قد ضمن له ألفي دينار وسألهم أن يجمعوا ذلك له فيما بينهم ففعلوا ودفعوها إلى عمرو فانطلق عمرو وصاحبه وبعث معهما الشماس دليلا ورسولا وزودّهما وأكرمهما حتى رجع وصاحبه إلى أصحابهما، **فبذلك عرف عمرو مدخل مصر ومخرجها ورأى منها ما علم أنها أفضل البلاد وأكثره مالا.** فلما رجع عمرو إلى أصحابه دفع إليهم فيما بينهم ألف دينار وأمسك لنفسه ألفا قال عمرو فكان أوّل مال اعتقدته وتأثّلته"[١٤]. وقد ذكرت أسباب اخرى منها ما نقله المهندس فاضل سليمان عن مخطوطة نادرة لمحمد الشطيبي المغربي الموسومة ب"الجمان في أخبار الزمان"، والتي ساق فيها رواية تاريخية تتحدث عن بربر برقة الليبية وارسالهم "رسلا منهم الى الفاتح العربي يعرضون عليه الدخول في الاسلام على يديه، فاستطاع عمرو بن العاص ان يفهم ما يريدون بواسطة مترجم نقل اليه كلامهم فأرسلهم الى عمر بن الخطاب الذي رحب بهم احسن ترحيب لأن أحد الحاضرين أخبره أنهم البربر أولاد بر بن قيس. فسألهم عمر عن عاداتهم وعلاماتهم واخبروه بها، فبكى لأن النبي صلى لالله عليه وسلم كان

قد تنبأ بفتح بلاد لأهلها هذه الصفات، ثم حمد الله على ذلك وبعث الى عمرو أن يقدمهم على الجند وحملهم بالهدايا"[١٥]. وهذه الرواية –إن صحت– تؤكد على حضور الجانب العقائدي لدى العرب الفاتحين. في ابتغائهم نشر الاسلام في البربر. فكانوا مضطرين الى فتح مصر القبط المسيحيين للوصول اليهم، وتعليمهم أحكام الشريعة الاسلامية. وبشارة النبي محمد صلى الله عليه وسلم بالبربر وملاقاتهم به مبثوثة في كتب الاسلام والسنة وبروايات صحيحة. وان أنكرها بعض المؤرخين. فقد روى الامام أحمد في مسنده بسند صحيح عن أبي هريرة ، قال: "جلس إلى النبي صلى الله عليه وسلم – رجل، فقال له رسول الله – صلي الله عليه وسلم –: من أين أنت؟ قال: **بربريّ**، فقال له رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: قم عني، قال بمرفقه كذا، فلما قام عنه أقبل علينا رسول الله – صلي الله عليه وسلم –، فقال: "إن الإيمان لا يجاوز حناجرهم"[١٦]. وعن عبد الله بن عمرو، أن رسول الله – صلي الله عليه وسلم – قال: "من أخرج صدقةً فلم يَجِدْ إلا **بَرْبَرِيًا**، فْليَرُدَّها"[١٧]. وعن عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: قسَمَ اللَّهُ الْخُبُثَ عَلَى سَبْعِينَ جُزْءًا، فَجَعَلَ فِي **الْبَرْبَرِ تِسْعَةً وَسِتِّينَ جُزْءًا**، وَلِلثَّقَلَيْنِ جُزْءًا وَاحِدًا"[١٨]. والأحاديث في ورود البربر وتبشير النبي عليه السلام بهم كثيرة صحيحة، منها قوله صلى الله عليه وسلم من حديث أَبَي عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحُبُلِيَّ وَعَمْرَو بْنَ حُرَيْثٍ قالا: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "إِنَّكُمْ ستقدمون على قوم جعد رؤوسهم، فَاسْتَوْصُوا بِهِمْ، فَإِنَّهُ قُوَّةٌ لَكُمْ، وَبَلَاغٌ إِلَى عدوكم بإذن الله" وقد بوب ابن حبان في صحيحه على هذا الحديث بقوله "**ذِكْرُ الْإِخْبَارِ عَنْ تَقَوِّي الْمُسْلِمِينَ بِأَهْلِ الْمَغْرِبِ عَلَى أَعْدَاءِ اللَّهِ الْكَفَرَةِ**"[١٩]. وكأن ابن حبان جعل البربر شعوب غرب شبه الجزيرة العربية ابتداء من مصر الى المحيط الأطلسي. وهذا مستبعد جدا لأن مصر كانت معروفة لدى العرب ببلاد القبط، أما البربر فهم ما دونها. وقد وردت في مصر وأقباطها أيضا أحاديث نبوية تبشر المسلمين بفتحها ستأتي معنا فيما بعد. ما شكل حافزا نفسيا وتشويقا لبلوغ تلكم الأرض المباركة. والتي أثنى عليها الله تعالى أيضا في القرآن الكريم. ويمكن لهذه النصوص الحديثية أن تدعم رواية الشطيبي المغربي، خاصة وأن برقة فعليا قد دخلها

المسلمون صلحا لا عنوة على ما ذكره ابن عبد الحكم. تقول رواية له عن معاوية بْن صالح، قَالَ: كتب عمرو بن العاصي إِلَى عُمَر بْن الخطاب يعلمه أنه قَدْ ولى عقبة بْن نافع الفهري المغرب فبلغ زويلة وأن من بَيْنَ زويلة **وبرقة سلم كلهم حسنة طاعتهم قَدْ أدى مسلمهم الصدقة، وأفر معاهدهم بالجزية**، وأنه قَدْ وضع عَلَى أهل زويلة ومن بينه وبينها ما رأى أنهم يطيقونه، وأمر عماله جميعا أن يأخذوا الصدقة منَ الأغنياء فيردوها في الفقراء، ويأخذوا الجزية منَ الذمة فتحمل إليه بمصر، وأن يؤخذ من أرض المسلمين العشر ونصف العشر ومن أهل الصلح صلحهم[٢٠]. والغزو ابتغاء نشر الاسلام ليس غريبا عن المسلمين، بل هو غاية من أعظم غايات الدين وابتغاء الآجر والثواب وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم "...فَوَ اللَّهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا، خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ"[٢١].

ب-الأقباط والعلاقة مع الفاتحين المسلمين

طبيعي أن يرفض المصريون دخول المسلمين الفاتحين. لأنهم اعتبروهم جنسا من اجناس الاستعماريين الذين مروا بارضهم كما فعل البطالسة والفراعنة والفرس والرومان. لذلك فقد شهدت الحركة التفاعلية بين المسلمين والأقباط نوعا من المواجهة والمقاومة. وهذا ما انعكس على وضع مصر في التراث الفقهي الاسلامي باعتبارها أرض صلح أو أرض عنوة؟ وقد ذكر السيوطي خلاف العلماء في فتحها هل كان صلحا أو حربا؟ وإن لم يرجح من الثلاثة مذاهب المنقولة في هذا الموضوع. والظاهر من أقوال أكثر العلماء انها فتحت عنوة وحربا ف أكثرها. فعن عبد الرحمن بن زياد بن أنعم، قال: سمعت أشياخنا يقولون: إن مصر فتحت عنوة بغير عهد ولا عقد. وعن عمرو بن العاص يقول: لقد قعدت مقعدي هذا وما لأحد من قبط مصر عليَّ عهد ولا عقد إلا أهل أنطابلس، فإن لهم عهدا يوفي لهم به[٢٢]. وإن صحت هذه الأخبار فهذا يعني رفضا شعبيا عريضا للمسلمين من لدن المصريين المسيحيين. على عكس ما ذكره بعض المحدثين كالدكتورة سيدة إسماعيل كاشف[٢٣]، إذ تقول: "على أننا لا نجد في المراجع القديمة ما يشير إليه بعض المحدثين من أن الأقباط استنجدوا بعمر بن الخطاب لينقذهم من ظلم الروم". وهذه الكراهية للمسلمين هو ما

اكده النقيوسي في تاريخه وشهد به. فيقول "فحدث ذعر في كل مدن مصر، وهرع السكان يهربون إلى الاسكندرية تاركين ممتلكاتهم وثرواتهم وماشيتهم"[٢٤]. ومع هذا التخوف العام من الفاتحين المسلمين، فقد ظهرت انشقاقات كثيرة داخل المجتمع المصري آنذاك. وقد أكد النقيوسي وجود ثلاث انشقاقات في جسم القبط المصريين قائلا "وكانت مصر فريسة لإبليس، إذ كان هناك انشقاقا كبيرا يسود الوجه البحري وكانوا منقسمين إلى فريقين: أحدهما كان مع ثيؤدور **والآخر يريد الانضمام للمسلمين**، وكان انصار كل أحد الفريقين ينقض على انصار الفريق الآخر، فيسلبون ثرواتهم ويحرقوا مدنهم، وكان المسلمون يخشون هؤلاء"[٢٥]. وقد انضم عمليا كثير من القبط للمسلمين بعد أن اعتنقوا الديانة الاسلامية، وجاهدوا معهم جنبا لجنب. ففي الفصل ١١٤، يقول النقيوسي "بعدما صحب المسلمون المصريين الذين تركوا المسيحية واعتنقوا ديانة هؤلاء... وكانوا يسمون عبيد المسيح أعداء الله"[٢٦]. ولعل هؤلاء هم الذين سماهم النقيوسي الآريوسيين. وهم بقايا أتباع القديس آريوس الليبي (٢٥٦- ٣٣٦م)، الذي ناظر القديس اثناثيوس السكندري وجماعته حول طبعة المسيح والوهيته والايمان بقدسية الثالوث والعبادة الأيقونات...الخ في مجمع كبير يعد أول المجامع المسيحية واهمها. وكان ذلك في مدينة نيقية بتركيا سنة ٣٢٥م. والذي عرف به آريوس الليبي القول ببشرية المسيح وانكاره لألوهيته ولقدوسية الثالوث وتحريمه عبادة الأيقونات المقدسة. فكان كل من يدين بهذا المعتقد يسمى آريوسيا. وقد بينا ذلك مفصلا في كتابنا "استكشاف المسيحية الأولى: بحثا عن اللاهوت المضطهد من القرن ١ الى ٣٢٥ميلادية"[٢٧]. يقول النقيوسي بعد ان تحدث عن افراج المسلمين عن الروم الأورثوذكس، علقا قائلا" ...وحقيقة أن هؤلاء كانوا قد نجسوا الكنيسة بعقيدتهم الفاسدة، وارتكبوا كل الجرائم والشرور التي **للآريوسيين** أكثر مما لم يفعله الوثنيون والبربر، فقد احتقروا المسيح وخدامه، ولم نجد مثل هؤلاء الأشقياء في كل من عبدوا المقدسات الخاطئة... وفي نفس الوقت الذي كان هؤلاء الملحدون ظنوا أنهم يكرمون ربنا يسوع المسيح مع أنهم اضطهدوا الذي لم يقفوا معهم في عقيدتهم، نسأل الله من أن يحفظنا أن نتصالح مع هؤلاء المخالفين لأنهم ليسوا

خدام المسيح ولو انهم اعتقدوا في انفسهم هكذا "[٢٨]. وحديث النقيوسي عن طائفة الآريوسيين المصريين بهذه الطريقة العنيفة، راجع الى الجدل اللاهوتي القديم الذي تأجج معهم منذ مجمع نيقية سنة ٣٢٥م، حيث كانت الصراعات متأرجحة بين الكفتين. الأرثوذكس المؤلهين للمسيح باعتباره الها متجسدا المولود غير المخلوق من الآب ويلحق بهم الروم الأرثوذكس والآريوسيين الذين يعتبرون المسيح بشرا مخلوقا لله غير مولود له. وقد تمادى النقيوسي نفسه في نقد الآريوسيين بأن جعلهم والروم الأورثوذكس هراطقة وسببا كونيا للكوارث الطبيعة والزلازل والعواصف!! فقال في نهاية تاريخه "...والذي يحوي –يقصد تاريخه–العديد من الأبحاث والأسرار المقدسة، شرح للظواهر السمائية، التي أصابت الهراطقة، وتزعزع الأرض أحيانا بسبب عدم التقوى، حتى خربت مدينة نيقوس الكبرى، ونزول مطر ونار من السماء، واختفاء الشمس منذ الصباح الى المساء، وأحيانا تفيض الأنهار وتغرق مدنا بأكملها. وترة اخرى تهدمت المنازل وهلك أعدادا كبيرة من البشر، ونزلت الى أغوار الأرض..وكل ذلك بسبب أنهم قسموا المسيح إلى طبيعتين، **بينما البعض الآخرين جعلوا منه مخلوقا واحدا**"[٢٩].

وقد كان هؤلاء الموحدون في اضطهاد دائم من المثلثة. خصوصا بعد تنصر الامبراطورية الرومانية وميلها لتدعيم المثلثة على حساب الموحدين الآريوسيين(إن كان توحيدهم ناقصا وفقا للمعايير اللاهوتية الاسلامية كما بينا في كتابنا استكشاف المسيحية الأولى). يقول المهندس فاضل سليمان "يلاحظ اطلاق عمرو بن العاص للأورثوذكس وادعاء يوحنا بأنهم عذبوا من قبل المصريين الآريوسيين وليس العرب. وفي ذلك اشارة لأنهم كانوا ينتقمون منهم لسبق اضطهادهم لهم لرفضهم عقيدة التثليث وقتل منهم الكثير على مر ٣٠٠ سنة منذ اقرار عقيدة التثليث في مجمه نيقية عام ٣٢٥ ميلادية"[٣٠]. ولعل هؤلاء هم من ابدوا ارادة للانضمام الى المسلمين، لأنهم رأوا في دينهم تشابها متبادلا على مستوى العقيدة، والنظرة اللاهوتية لطبيعة المسيح والموقف من الثالوث والأيقونات والتماثيل. فقرروا الانضمام اليهم نصرة لعقيدتهم وانتقاما من الأرثوذكس الذي ساموهم سوء العذاب بسبب اختياراتهم العقائدية. وقد

تكون الفرقة الثانية التي تريد الانضمام للمسلمين، تريد ذلك خوفا وحقنا لدمائها وتحصينا لأموالها. وضمان الأمان عند العرب بعد دخولهم قلعة بابليون، مع بقائهم على دينهم، وهو احتمال وارد ايضا. والحاصل أن المجتمع المصري عند دخول الفاتحين العرب، كان بين مؤيد للرومان وهم الروم الأرثوذكس وقد اسلم منهم البعض. والأرثوذكس المرقسيين اللاخلقدونيين وهم أتباع البابا بنيامين وأكثرهم كاره للعرب الفاتحين ومنهم طائفة تريد الانضمام للعرب حقنا لدمها ولأموالها بعد أن تيقنوا انتصارهم وغلبتهم في البلاد. وطائفة الآريوسيين الذين أحبوا المسلمين ورحبوا بهم، بل واعتنقوا الاسلام عن طواعية وصاروا سيفا من سيوفه مسلطا على المسيحيين عموما.

لكن ما سبب هذه الكراهية؟ هل هو مجرد اعتبار المسلمين كغيرهم من الغرباء والغزاة؟ أم لأعمال نهب وقسوة ارتكبوها؟ وهل صحيح ما ذكره النقيوسي من انتهاكات المسلمين لحقوق الأقباط ومسهم بكرامتهم؟؟

المحور الثاني: النقيوسي ومشكلة الانتهاكات الاسلامية تجاه القبط

١-النقيوسي ومذابح المسلمين للقبط والرومان!!!

ينقل يوحنا النقيوسي في مواضع كثيرة من كتابهما يسميه بأعمال العنف التي ارتكبها المسلمون تجاه الأقباط والرومان. فيقول "ولم يكتف عمرو بهذا، بل إنه قبض على القضاة الرومان، وقيد أيديهم وأرجلهم بالسلاسل والأوتاد الخشبية ... **وبالإجمال مارس كل أعمال العنف**"(٣١). ويذكر يوحنا النقيوسي في الفصل (١١٢) الثاني عشر بعد المائة استيلاء العرب على إقليم الفيوم وبويط فيقول: "إن العرب استولوا على إقليم الفيوم وبويط **وأحدثوا فيهما مذبحة هائلة**"(٣٢). وفي الفصل (١١٥) يذكر فتح أنصنا وبلاد الريف ونقيوس فيقول: " وفي العام الخامس عشر – نحو ٦٣٢م– أثناء فترة الصيف تقدم نحو سخا، ميت دمسيس، وكان قلقا ألا يسحق المصريين قبل فيضان النيل. لكن كان من المستحيل أن يقبل على عمل مثل هذا ضدهم، وكان قد صار في دمياط من قبل بعدما أراد أن يحرق ثمار الحقول بها. لذلك مضى ليلحق بقواته الموجودة في قلعة بابليون مصر، وسلمهم كل الغنائم التي حصل عليها

بالإسكندرية. وأمر عمرو ببناء ممر يربط قلعة **بابليون بمدينة النهرين التي امر بحرقها**. وعندما أبلغ السكان بالخطر، حملوا ممتلكاتهم وهربوا، وتركوا المدينة حيث اشعل المسلمون النار فيها ولكن عاد السكان وأطفأوها ليلا. فاستدار المسلمون بعد ذلك غلى المدن الأخرى، **فجردوا المصريين من أملاكهم، ومارسوا ضدهم أعمال العنف**"[٣٣]. ويذكر يوحنا النقيوسي في الفصل (١١٨) الاستيلاء على نقيوس (بعد هروب الجيش الروماني من المدينة) فيقول: " استولى المسلمون أيضا على نقيوس، ولما دخلوها لم يجدوا بها ولا جنديا واحدا لمقاومتهم. **وكانوا يذبحون كل من قابلهم في الشوارع أو في الكنائس، رجالا ونساء وأطفالا بدون رحمة**. ثم ذهبوا إلى أماكن أخرى حولها وخربوها، وقتلوا من كان بها. وقابلوا اسكواتاؤس ورجاله، وفي مدينة صا الذين كانوا من عائلة ثيؤودور القائد الذين كانوا مختبئين في مزرعة كروم **فذبحوهم**. والأفضل أن نصمت الآن، لأنه من المستحيل أن نقص هول ما حدث **من الجرائم التي ارتكبها المسلمون عندما احتلوا جزيرة نيقيوس** يوم الأحد، في اليوم الثامن عشر من شهر جويمبوت في العالم الخامس عشر من الحول"[٣٤]. كل هذه الأعمال التي ألصقها النقيوسي بالمسلمين واخذا بعين الاعتبار خلفيته التزويرية التي نقلناها من كتب التاريخ الكنسي القبطي. فإنها تتناقض كلية مع الواقع الديني واللاهوتي والأخلاقي للمسلمين. خصوصا تجاه مصر وأهلها الذين كانوا محط وصية النبي محمد صلى الله عليه وسلم. فعن عبدالرحمن بن شماسة المهري قال سمعت أبا ذر يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إنكم ستفتحون أرضا يذكر فيها القيراط فاستوصوا بأهلها خيرا فإن لهم ذمة ورحما)[٣٥] وعن أبي ذر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إنكم ستفتحون مصر وهي أرض يسمى فيها القيراط فإذا فتحتموها فأحسنوا إلى أهلها فإن لهم ذمة ورحما أو قال ذمة وصهرا)[٣٦]. فهل كان للمسلمين ان يخالفوا وصية نبيهم عليه السلام في الاحسان الى المصريين هو له فيهم نسب؟؟ وهل كانوا سيخالفون وصية النبي وهو الذي يؤكد على حسن معاملة القبط اهل مصر، خير أجناد الأرض؟ الجواب بالقطع هو كلا. لأن المسلمون معلوم عنهم حبهم الكبير لنبيهم وحرصهم على طاعته سرا وعلانيه. ومعتقدهم أن صلاح

دنياهم في صلاح دينهم، وصلاح دينهم في حسن طاعتهم لنبيهم صلى الله عليه وسلم. اضافة إلى أن الحرب الاسلامية حرب اخلاقية بامتياز، فقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم المسلمين عن قتل النساء والأطفال والشيوخ في الجهاد. فعن ابْنُ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ، عَنْ عَمِّهِ: "أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ بَعَثَ إِلَى ابْنِ أَبِي الْحُقَيْقِ بِخَيْبَرَ، نَهَى عَن قَتْلِ النِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ"[٣٧] وعَنْ نَافِعٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: مَرَّ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِامْرَأَةٍ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ مَقْتُولَةٍ، فَقَالَ: " مَا كَانَتْ هَذِهِ تُقَاتِلُ "، ثُمَّ نَهَى عَنْ قَتْلِ النِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ"[٣٨]. كما نهى الاسلام عن قتل البهائم في الحرب. لما روي عن ضَمْرَةَ بْنِ حَبِيبٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ "نَهَى عَنْ قَتْلِ النِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ وَالشُّيُوخِ، وَعَقْرِ الْبَهِيمَةِ إِذَا قَامَتْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ"[٣٩]. كما نهى الشارع الحكيم عن قتل الرهبان غير المقاتلين. فعنْ بَكْرِ بْنِ سَوَادَةَ، أَنَّهُ قَالَ: "لَمْ نَرَ الْجُيُوشَ يُهَيِّجُونَ الرُّهْبَانَ الَّذِينَ عَلَى الْأَعْمِدَةِ، وَلَمْ نَزَلْ نُنْهَى عَنْ قَتْلِهِمْ إِلَّا أَنْ يُقَاتِلُوا"[٤٠]. وعن مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ الزُّبَيْرِ، وَقَالَ لِي: هَلْ " تَدْرِي لِمَ فَرَّقَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَأَمَرَ بِقَتْلِ الشَّمَامِسَةِ، وَنَهَى عَنْ قَتْلِ الرُّهْبَانِ؟ ". فَقُلْتُ: لَا أُرَاهُ إِلَّا لِحَبْسِ هَؤُلَاءِ أَنْفُسَهُمْ. فَقَالَ: أَجَلْ، وَلَكِنَّ الشَّمَامِسَةَ يَلْقَوْنَ الْقِتَالَ فَيُقَاتِلُونَ دُونَ الرُّهْبَانِ، وَإِنَّ الرُّهْبَانَ دَأْبُهُمْ أَنْ لَا يُقَاتِلُوا، وَقَدْ قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: {وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ} [البقرة: ١٩٠]"[٤١].فكيف يتهم المسلمون بقتل النساء والصبيان والأبرياء غير المقاتلين هو مما حرم في دينهم بالقطع وصريح الشرع؟! وبالتالي ففي نقل النقيوسي من مذابح مزعومة تؤيد القول في تزويره وتعمد التشويه بغايات غير بريئة. وقد تقدم معنا شيء منها. فما كان لأسقف مسيحي تثليثي أن يقبل بعقيدة توحيدية جديدة، تزاحم القانون اللاهوتي المسيحي الموروث، والامتيازات التي تنالها الكنيسة جراء تحكمها في مصائر المصريين البسطاء وعقولهم وأموالهم.

٢-الدراسات التاريخية المسيحية وسماحة الفاتحين العرب

لقد أثبتت كثير من الدراسات المسيحية الأرثدوكسية سماحة الاسلام وحسن معاملة المسلمين لأهل مصر. فقد ذكر الراهب القمص أنطونيوس الأنطوني أن "مما هو جدير بالذكر أن عمرو بن العاص بعد معاهدة الاسكندرية، وفتحها **عين**

المقوقس حاكما على الاسكندرية، والوجه البحري بعد أن عين عبد الله بن سعد بن أبي السرح حاكما على الوجه القبلي"[٤٢]. وتعيين المقوقس حاكما على اهل الاسكندرية رعاية لهم، وعدم استبداد، لأنه عين على اهلها من هو منهم ومن بني جلدتهم. وقال أنطونيوس أيضا " أيضا وإن كنا نذكر مظالم العرب الفاتحين فلابد – إنصافا للحقيقة– أن نقول أن هذه المظالم لم تكن عامة أو شاملة خاصة في الفترة الأولي للفتح العربي فقد اكتشف البروفسير جروهمان وثيقتين برديتين يرجع تاريخهما إلى سنة ٢٢ هـ – ٦٤٢ م، مكتوبتين باليونانية، وملحق بهما نص آخر بالعربية: الوثيقة الأولى: إيصال حرره على نفسه أحد أمراء الجند يدعى الأمير عبد الله بأنه استلم خمساً وستين نعجة لإطعام الجند الذين معه، وقد حررها الشماس يوحنا مسجل العقود، في اليوم الثلاثين من شهر برمودة من السنة المذكورة أولاً، وقد جاء بظهر الورقة ما يلي: "شهادة بتسليم النعاج للمحاربين ولغيرهم ممن قدموا البلاد وهذا خصماً عن جزية التوقيت الأول ما الوثيقة الثانية: فنصها "باسم الله، أنا الأمير عبد الله أكتب إليكم يا أمناء تجار مدينة بسوفتس، وأرجو أن تبيعوا إلى عمر بن أصلع، لفرقة القوطة، علفاً بثلاث دراهم كل واحد منها (بعرورتين) وإلى كل جندي غذاء من ثلاثة أصناف" ويعلق الأستاذ جروهمان على الوثيقتين بقوله "**إن هذه المعاملة إزاء شعب مغلوب، قلما نراها من شعب منتصر**""[٤٣]. ثم ذكر اعادة البابا بنيامين الى كرسي البابوية ، فقال: " ومما هو جدير بالذكر أن عمرو بن العاص رد الى البابا بنيامين الكنائس التي كان استولى عليها الروم، كما سمح لهم بترميم الكنائس التي هدمت، وساعده في بناء كنيسة جديدة بالإسكندرية، و أكثر من ذلك قام عمرو بن العاص بتنظيم البلاد في جميع النواحي الادارية والمدنية **و بالجملة فإن القبط نالوا في أيام عمرو بن العاص راحة لم يروها منذ زمان**"[٤٤]. ان التخريب الذي يشير اليه النقيوسي جاء من الخلقيدونيين أي الكاثوليك الذين يعادون الأورثودوكس بسبب اختلافهم اللاهوتي في طبيعة المسيح الموحدة او الثنائية. فكانت بين الطائفتين حرب شرسة وطدتها وزادتها فتنة وشنارا دخول الآريوسيين القائلين ببشرية المسيح في الحرب الدائرة داخليا بين المسيحيين قبل المجيء المسلمين وابانه وبعده. يقول

النقيوسي"... وعلم أن الرومان–أي عمرو بن العاص– ضعف موقفهم بسبب عداوة الشعب للإمبراطور هرقل، بسبب الاضطهاد الذي أثاره ضد الأرثوذكسية في كل مصر، بتحريض من البطريرك الخلقيدوني كيروس..."[٤٥] وقال عن الآريوسيين "وفي نفس الوقت الذي كان هؤلاء الملحدون ظنوا أنهم يكرمون ربنا يسوع المسيح مع أنهم **اضطهدوا الذي لم يقفوا معهم في عقيدتهم**"[٤٦]. ولعل هذا من ذكاء النقيوسي الذي حاول تغطية الجرائم داخل البيت المسيحي–المسيحي والمسيحي – الروماني راميا كرة التهم على المسلمين، مستغلا ظرفية فتحهم لمصر لتقمص نفسية المظلومية استجلابا للعطف الخارجي وتهييجا للمشاعر وتحريضا على الانتقام. خصوصا وأن حكام الرومان بدأوا فعليا"... **في مساعدة المسلمين فاستولوا على اتريب ومنوف وكل اراضيها**"[٤٧]. **وهذا يعني اذعانا كاملا للمسلمين وسيطرة اسلامية قوية على ربوع مصر والدلتا.** ومن حسن تعامل المسلمين مع غيرهم أيضا، ما وقع مع "البابا بنيامين (البطريرك الـ ٣٨) هارباً من قيرس (المقوقس) البطريرك الملكاني[٤٨]، وبعد الهزيمة التي مني بها الروم ورحيل جيشهم عن مصر، غدا القبط في مأمن من الخوف، وبدأوا يشعرون بالحرية الدينية. ولما علم عمرو باختفاء البابا القبطي بنيامين نتيجة الظروف التي كان يمر بها الأقباط، كتب كتاب أمان للبابا بنيامين يقول فيه: "الموضع الذي فيه بنيامين بطريرك النصارى القبط، له **العهد والأمان والسلامة من الله،** فليحضر آمناً مطمئناً ويدبر حال بيعته وسياسة طائفته"[٤٩]. يقول القس منسي يوحنا "وكان جيش العرب في فاتحة هذا القرن، حاملاً لواء الظفر في كل مكان، وظل يخترق الهضاب والبطاح، ويجوب الفيافي والبلاد، حتى وصل إلى حدود مصر تحت قيادة عمرو بن العاص، فدخل مدينة العريش وذلك سنة ٦٣٩، ومنها وصل إلى بلبيس وفتحها بعد قتال طال أمده نحو شهر، ولما استولى عليها وجد بها **(أرمانوسة) بنت المقوقس فلم يمسها بأذى، ولم يتعرض لها بشرٍّ، بل أرسلها إلى أبيها في مدينة منف، مكرمة الجانب، معززة الخاطر،** فَعَدَّ المقوقس هذه الفعلة جميلاً ومكرمة من عمرو وحسبها حسنة له."[٥٠].

وقد كان المسلمون زمن الفتح، خصوصا عمر بن الخطاب حريصا على اقامة العدل بين الفاتحين والسكان الأصليين، بل وكان يشتد على عماله في حالة تجاوزهم حد العدل والانصاف. حتى كان الولاة يتحرجون من ولايته. فعن أنس بن مالك ، قال: "كنا عند عمر بن الخطاب رضي الله عنه إذ جاءه **رجل من أهل مصر**، فقال: "يا أمير المؤمنين، هذا مقام العائذ بك"، قال: "وما لك؟ "، قال: أجرى عمرو بن العاص بمصر الخيل فأقبلت، فلما ترآها الناس، قام محمّد بن عمرو فقال: "فرسي ورب الكعبة، فلما دنا منه عرفته، فقلت: فرسي ورب الكعبة، فقام إليّ يضربني بالسوط، ويقول: "خذها وأنا ابن الأكرمين". قال: فوالله ما زاده عمر أن قال له: "اجلس، ثم كتب إلى عمرو إذا جاءك كتابي هذا فأقبل، وأقبل معك بابنك محمّد، قال: فدعا عمرو ابنه فقال: "أحدثت حدثاً؟ أجنيت جناية؟ "، قال: "لا"، قال: "فما بال عمر يكتب فيك؟ "، قال: فقدم على عمر، قال أنس: فوالله إنا عند عمر حتى إذا نحن بعمرو، وقد أقبل في إزار ورداء، فجعل عمر يلتفت هل يرى ابنه؟، فإذا هو خلف أبيه، قال: "**أين المصري؟** "، قال: "ها أنا ذا"، قال: "**دونك الدّرة فاضرب ابن الأكرمين، اضرب ابن الأكرمين**" قال فضربه حتى أثخنه، ثم قال: أحلِها على صلعة عمرو، فوالله ما ضربك إلا بفضل سلطانه، فقال: "يا أمير المؤمنين، قد ضربت من ضربني"، قال: "أما والله لو ضربته ما حلنا بينك وبينه حتى تكون أنت الذي تدعه، **يا عمرو متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً؟** "، ثم التفت إلى المصري فقال: "انصرف راشداً فإن رابك ريب فاكتب إليّ"[٥١]. وها هو عمر يبين أساس العدل في دولة الفاتحين المسلمين، ووظيفة العامل المتأمر في البلد. فهي ليست مرتعا له ولحاشيته، وانما هي امانة يجب صونها، وحسن عشرة أهلها وصون كرامتهم وأعراضهم وأموالهم. بل حتى إنه ليقود العمال والولاة بالمظلومين من رعاياهم، كما فعل مع عمرو بن العاص وابنه. فعَنْ عَطَاءٍ، قَالَ: كَانَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَكْتُبُ إِلَى عُمَّالِهِ أَنْ يُوَافُوهُ بِالْمَوْسِمِ(أي موسم الحج) فَوَافَوْهُ، فَقَامَ فَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ، **إِنِّي اسْتَعْمَلْتُ عَلَيْكُمْ عُمَّالِي هَؤُلَاءِ، وَلَمْ أَسْتَعْمِلْهُمْ لِيُصِيبُوا مِنْ أَبْشَارِكُمْ، وَلَا مِنْ أَمْوَالِكُمْ وَلَا مِنْ أَعْرَاضِكُمْ، وَلَكِنِ اسْتَعْمَلْتُهُمْ لِيَحْجِزُوا بَيْنَكُمْ أَوْ يَرُدُّوا عَلَيْكُمْ فَيْئَكُمْ، فَمَنْ كَانَتْ**

لَهُ مَظْلَمَةٌ عِنْدَ أَحَدٍ مِنْهُمْ فَلْيَقُمْ، فَمَا قَامَ مِنَ النَّاسِ أَحَدٌ يَوْمَئِذٍ إِلَّا فُلَانٌ قَامَ فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ عَامِلَكَ فُلَانًا ضَرَبَنِي مِائَةَ سَوْطٍ فَقَالَ: يُضْرَبُ مِائَةً فَاسْتَقَدْ مِنْهُ، فَقَامَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّكَ مَتَى تَفْتَحْ هَذَا عَلَى عُمَّالِكَ تُكْثِرْ عَلَيْهِمْ، وَتَكُونُ سُنَّةً يَأْخُذُ بِهَا مَنْ بَعْدَكَ، فَقَالَ: أَنَا لَا أُقِيدُ مِنْهُ، وَقَدْ رَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُقِيدُ مِنْ نَفْسِهِ، فَقَالَ: دَعْنَا إِذَنْ نُرْضِيهِ، قَالَ: أَرْضُوهُ، قَالَ: فَافْتَدَيْتُ مِنْهُ بِمِائَتَيْ دِينَارٍ، فَكَانَ كُلُّ سَوْطٍ بِدِينَارَيْنِ"[٥٢]. فهذه الوقائع تنفي ما تناقله الكتابات المسيحية عموما والنقيوسي على الخصوص من اضطهاد المسلمين للمصريين. بل تؤكد على التناسق الممارساتي مع المعطى النظري الاسلامي لدى المسلمين الفاتحين. من حيث وجوب اقامة العدل وحسن عشرة غير المسلمين دينا وتعبدا وفريضة. فهي ليس نافلة بين أيدي المسلمين واختيارا منهم.

٣- الأقباط وعقدة الجزية

لم تزل عقدة الجزية مستعلية في قلوب المسيحيين المصريين الى يومنا هذا. فقد اعتبروها ضريبة للذل والمهانة والتعجيز. ولم يزل المسيحيون الأورثوذكس يعبرون بلبس السواد عن هذه العقدة النفسية الكارهة للإسلام والمسلمين، مذ فتح مصر سنة ٢٠ هجرية. والجزية قدر من المال يدفعه غير المسلمين للمسلمين مقابل حمايتهم وتدبير شؤونهم، كيف لا قد اعفوا من الجهاد والحرب؟؟ يقول القمص أنطونيو الأنطوني "فجمع المقوقس رجال حكومته، وذهب للتفاوض مع رسل من قِبَل عمرو، فبدأ وفد الروم بالتهديد والوعيد للمسلمين، بقتلهم وإفنائهم وأنه لا بديل أمام المسلمين غير الموت أو الرحيل، فلما بدأ وفد المسلمين، فلم يفعل كوفد أهل الصليب إنما طرح أمامهم ثلاثة بدائل: أولها الإسلام وثانيها الاستسلام مع دفع الجزية **لقاء قيام المسلمين بتسيير أمور البلاد**، ثم كان الخيار الثالث والأخير وهو الحرب والقتال الذي طرحة جيش الصليبيين الروم المحتلين لمصر كاختيار لا بديل. فاتفق رأيهم على إيثار الاستسلام والجزية، واجتمع عمرو والمقوقس **وتقرر الصلح بينهما بـ** وثيقة مفادها: أن يُعطَي **الأمان للأقباط**، ولمن أراد البقاء بمصر من الروم، على أنفسهم، وأموالهم، وكنائسهم، **وفي نظير ذلك يدفع كل قبطي "دينارين" ماعدا: الشيخ، والولد**

البالغ ١٣ سنة، والمرأة.. وذكر المؤرخون أنه بعد استتباب السلطان للعرب في مصر، وبينما كان الفاتح العربي يشتغل في تدبير مصالحه بالإسكندرية، سمع رهبان وادي النطرون وبرية شيهات، أن أمة جديدة ملكت البلاد، فسار منهم إلى عمرو سبعون آلفاً حفاة الأقدام، بثياب ممزقة، يحمل كل واحد منهم عكاز... تقدموا إليه، وطلبوا منه أن يمنحهم حريتهم الدينية، ويأمر برجوع بطريركهم من منفاه، أجاب عمرو طلبهم، وأظهر ميله نحوهم فازداد هؤلاء ثقة به ومالوا إليه، خصوصاً لما رأوه يفتح لهم الصدور، ويبيح لهم إقامة الكنائس والمعابد، في وسط (منطقة) الفسطاط التي جعلها عاصمة الديار المصرية ومركز الإمارة، على حين أنه لم يكن للمسلمين معبد، فكانوا يصلون ويخطبون في الخلاء)."[٥٣].

صحيح قد كانت بعض التجاوزات في استخراج الجزية من بعض المصريين، لكن اليقيني أنها لم تكن ممنهجة ومحط رضى الجميع. فقد روى أبوداود في سننه عنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ، أَنَّ هِشَامَ بْنَ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ، وَجَدَ رَجُلًا وَهُوَ عَلَى **حِمْصَ يُشَمِّسُ نَاسًا مِنَ الْقِبْطِ فِي أَدَاءِ الْجِزْيَةِ**، فَقَالَ: **مَا هَذَا؟؟** سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: "إِنَّ اللَّهَ يُعَذِّبُ الَّذِينَ يُعَذِّبُونَ النَّاسَ فِي الدُّنْيَا"[٥٤]. كما أن في حالة الحرب، قد تسقط بعض الأرواح وهذا شيء طبيعي، ولكن الانتهاكات إن وجدت، لم تكن ممنهجة ومقصودة، لأنها ليست أصلا في مبادئ الحرب الاسلامية، ولكنها طارئة وخطأ يرتكبه أفراد الناس في وقت الهلع واحتدام السيوف، أو بناء على اجتهادات خاطئة لها ما يبررها.

٤-النقيوسي ونهب الأموال القبط وفرض الجزية عليهم

صحيح في ان سبب مسير المسلمين الى مصر غناها بالثروات المختلفة. لكن لم يكن هذا هو السبب الوحيد. فقد كانت مصر مركزا لبشارات دينية نبوية كثيرة. ما حفز المسلمين وشوقهم للمسير اليها والتبرك بأرضها الطيبة. فهي محج الأنبياء ومن دخلها كان آمنا. كما قال تعالى(ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ) يوسف:٩٩ وهي أرض الخيرات وسلة غذاء العالم القديم، كما قال تعالى (اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ) البقرة:٦١، وهي أرض العمران وعجائب المنجزات الحضارية الصروح الفنية

العظيمة، مصداقا لقوله تعالى(وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ) يونس:٨٧. وقال عز وجل ناقلا كلام فرعون المصريين (قَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي، فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ، فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ)القصص:٣٣. كلها أسباب متنوعة، بين أسباب عقائدية واقتصادية وحضارية حفزت مخيال العرب من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين إلى ضمنها إلى أرضهم، كالدرة النفيسة التي يحرص على فقدانها. كما انها كانت بوابة شمال افريقيا لتوسيع رقعة الفتوحات الاسلامية لنشر دين الاسلام في ربع المعمورة. وقد جمع الامام أبو عمر محمد بن يوسف بن يعقوب الكندي المصري (المتوفى: بعد ٣٥٥هـ) فضائل مصر في كتاب خاص سماه " فضائل مصر المحروسة". لكن حضور الجانب الاقتصادي لدى الفاتحين الجدد، هل يبرر عملية نهب الأموال والسرقة والجزية على حد تعبير النقيوسي؟

أ-النقيوسي وفرية نهب الأموال

سنقف قليلا مع بعض عباراته لنحللها ونتدارسها. يقول النقيوسي "ولم يكتف عمرو بهذا، بل انه قبض على القضاة الرومان وقيد ايديهم وارجلهم بالسلاسل والأوتاد الخشبية، **ونهب اموالا كثيرة، وقام بمضاعفة الضرائب على الفلاحين، وأجبرهم عليقة لخيوله...**"[٥٥] وقال " وتوسل اليهم -الشعب القبطي-البطريرك بدموع مظهرا ألمه، مما جعل شعب الاسكندرية يخجل، فقاموا له **ذهبا كثيرا ليسلمه للإسماعيليين، مع الجزية التي فرضت عليهم**"[٥٦] .

والرد على ما ذكره النقيوسي من وجهين:

أحدهما: تناقضه في قضية نهب المسلمين للأموال. فقد ذكر في الفصل ١٢١ أن المسلمين فرضوا الجزية ولم ينهبوا الأموال والأملاك. قال "وأمر عمرو برفع الضرائب التي كانت مفروضة على الكنائس، **ولم يأخذ شيئا من أملاك الكنائس، كما لم يرتكب أي عمل من السلب أو النهب، بل كان يحميها خلال حكمه**"[٥٧].

ثانيها: إن نهب الأموال وسرقتها محرم في الشريعة الاسلامية. ولا تستباح في أي وقت من الأوقات. لا في سلم ولا في حرب.

ب-الجزية ليس نهب للمال

فرض الجزية، تشريع قرآني على كل من لم يتقبل الاسلام دينا عن طواعية. قال تعالى (قَاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ)التوبة: ٢٩. وحقيقتها: قدر من المال يعطيه غير المسلمين للمسلمين مقابل غرض معين كل بحسب حالته. إما إظهارا للإسلام وتصغيرا لأهل الكفر والطغيان. وهذا خاص بالمقاتلين المعاندين الذين هُزموا بين يدي المسلمين. أو مقابل حمايتهم بالنسبة لأهل الصلح. قَالَ أَشْهَبُ من المالكية: وَعَلَى كُلِّ مَنْ كَانَ عَلَى غَيْرِ الْإِسْلَامِ أَنْ تُؤْخَذَ مِنْهُمْ الْجِزْيَةُ (عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ)[٥٨]. وقلنا كل بحسبه، نظرا لكون احكام الجزية تتنوع بحسب طبيعة غير المسلمين وردة فعلهم تجاه الفاتحين المسلمين. وتؤخذ مرة في الحول إجماعا. قال القاضي أبي الوليد ابن رشد الحفيد "فَإِنَّ الْجِزْيَةَ عِنْدَهُمْ ثَلَاثَةُ أَصْنَافٍ: **جِزْيَةٌ عَنْوِيَّةٌ**: وَهِيَ هَذِهِ الَّتِي تَكَلَّمْنَا فِيهَا أَعْنِي: الَّتِي تُفْرَضُ عَلَى الْحَرْبِيِّينَ بَعْدَ غَلَبَتِهِمْ. **وَجِزْيَةٌ صُلْحِيَّةٌ**: وَهِيَ الَّتِي يَتَبَرَّعُونَ بِهَا لِيُكَفَّ عَنْهُمْ، وَهَذِهِ لَيْسَ فِيهَا تَوْقِيتٌ، لَا فِي الْوَاجِبِ، وَلَا فِيمَنْ يَجِبُ عَلَيْهِ وَلَا مَتَى يَجِبُ عَلَيْهِ، وَإِنَّمَا ذَلِكَ كُلُّهُ رَاجِعٌ إِلَى الِاتِّفَاقِ الْوَاقِعِ فِي ذَلِكَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَأَهْلِ الصُّلْحِ، إِلَّا أَنْ يَقُولَ قَائِلٌ: إِنَّهُ إِنْ كَانَ قَبُولُ الْجِزْيَةِ الصُّلْحِيَّةِ وَاجِبًا عَلَى الْمُسْلِمِينَ فَقَدْ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ هَاهُنَا قَدْرٌ مَا إِذَا أَعْطَاهُ مِنْ أَنْفُسِهِمُ الْكُفَّارُ وَجَبَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ قَبُولُ ذَلِكَ مِنْهُمْ، فَيَكُونُ أَقَلُّهَا مَحْدُودًا، وَأَكْثَرُهَا غَيْرَ مَحْدُودٍ. وَأَمَّا **الْجِزْيَةُ الثَّالِثَةُ: فَهِيَ الْعُشْرِيَّةُ**: وَذَلِكَ أَنَّ جُمْهُورَ الْعُلَمَاءِ عَلَى أَنَّهُ لَيْسَ عَلَى أَهْلِ الذِّمَّةِ عُشْرٌ، وَلَا زَكَاةٌ أَصْلًا فِي أَمْوَالِهِمْ، إِلَّا مَا رُوِيَ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْهُمْ أَنَّهُمْ ضَاعَفُوا الصَّدَقَةَ عَلَى نَصَارَى بَنِي تَغْلِبَ (أَعْنِي أَنَّهُمْ أَوْجَبُوا إِعْطَاءَ ضِعْفِ مَا عَلَى الْمُسْلِمِينَ مِنَ الصَّدَقَةِ فِي شَيْءٍ مِنَ الْأَشْيَاءِ الَّتِي تَلْزَمُ فِيهَا الْمُسْلِمِينَ الصَّدَقَةُ، وَمِمَّنْ قَالَ بِهَذَا الْقَوْلِ الشَّافِعِيُّ، وَأَبُو حَنِيفَةَ،

وَأَحْمَدُ، وَالثَّوْرِيُّ، وَهُوَ فِعْلُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ – بِهِمْ، وَلَيْسَ يُحْفَظُ عَنْ مَالِكٍ فِي ذَلِكَ نَصٌّ فِيمَا حَكَوْا، وَقَدْ تَقَدَّمَ ذَلِكَ فِي كِتَابِ الزَّكَاةِ"[٥٩].

وأكثر البلاد المصرية فتحت عنوة، وقد قوتل المسلمون فيها ايما قتال. وقد نقل السيوطي المصري تلخيصا للقضاعي لهذا القتال نقتطف منه ما يلي" لما قدم عمرو بن العاص رضي الله عنه من عند عمر رضي الله عنه، كان أول موضع قوتل فيه الفرما قتلا شديدا نحوا من شهر، ثم فتح الله عليه. قال أبو عمر الكندي: وكان أول من شد على باب الحصن حتى اقتحمه أسيفع بن وعلة السبئي وأتبعه المسلمون، فكان الفتح. وتقدم عمرو، لا يدافع إلا بالأمر الخفيف، حتى أتى بلبيس، فقاتلوه بها نحوا من شهر، حتى فتح الله عليه، ثم مضى لا يدافع إلا بالأمر الخفيف؛ حتى أتى دنين وهي المقس، فقاتلوه بها قتالا شديد ..."[٦٠] والصلح الذي جرى بين المقوقس وعبادة بن الصامت لم يتم ابتداء ولكن بعد حصار دام سبعة أربعة عشر شهرا وقيل سبعة أشهر. فكان الصلح عنوة وليس اختيارا. كما ان مصادر التاريخ الاسلامي كلها تتحدث عن خراج مصر. ومعلوم أن الخراج هو على الأرض المفتتحة عنوة لا صلحا فتأمل. فكتب عمر أن تفرض عليهم شريعة الجزية، لمحاربتهم للإسلام والمسلمين. كيف لا يقبل هذا على المسلمين، وقد كان الرومان يفعلون شرا منه. بل كانت الطوائف المسيحية المصرية–كما مر معنا– في تناحر مستمر. غير ان الفتح الاسلامي وحد مصر، وبث فيها من الأمان والأمن والسلام ما لم يقدر الرومان على بثه. و"لم تنته مشاكل الأقباط المصريين مع الرومان والبيزنطيين الا بوصول جيوش الفتح الاسلامي الى مصر. فبعد اشتباكات متفرقة شرق الدلتا، سار جيش المسلمين بقيادة عمرو بن العاص الى الفيوم ووصل بعد ذلك الى عين شمس. الا أن أهم معركة واجهها عمرو قبل مسيرته الى الاسكندرية، كانت موقعة الاستيلاء على حصن بابليون بمصر القديمة، حيث انتصر على الحامية الرومانية في ٦ أبريل (نيسان) ٦٤١م. وبعد محاصرة الاسكندرية لعدة أشهر تم الاتفاق مع السلطات البيزنطية على تسليم المدينة بدون قتال في ٨ نوفمبر (تشرين الثاني) من العام نفسه، ورحيل الرعايا البيزنطيين عنها. وعلى الفور أعلن العرب المسلمون ضمانهم حرية

العقيدة لأهل الكتاب من المسيحيين واليهود، وبعد ذهاب البيزنطيين جاءوا بالأسقف القبطي بنيامين الأول من مخبئه، وسلّموه كنائس الاسكندرية"[٦١]. وها هو النقيوسي نفسه يرجع سبب غلبة المسلمين وانتصارهم الى "طغيان الامبراطور هرقل والمضايقات التي كان يشببها للأورثوذكس عن طريق البطريرك كيرلس"[٦٢]. ان جزية الاسكندرية "التي كان عمرو قد حددها وهي ٢٢ الف ذهبية، فجمع ميناس الهرطوقي ٣٢الف و٤٧ قطعة ذهبية، وسلمها للإسماعيليين"[٦٣]. هنا نجد شخصية ميناس الحاكم الروماني الكاثوليكي المسيحي هو من ضاعف الجزية تقربا من المسلمين وليس المسلمين. وهذا ليس طبيعيا. فكيف يخون المسيحي بني دينه في سبيل اغناء الغرباء الفاتحين؟!! وقد "برز أحدهم ويدعى يوحنا، وهو خلقيدوني من دير سيناء، ترك عنه رداء الكهنوت واعتنق الاسلام، وتسلح بسيف، وقام يضطهد المسيحيين الذين ظلوا مخلصين لربنا يسوع المسيح"[٦٤] . كما أعفي من الجزية المفروضة على أهل مصر النساء والصبيان والشيوخ والمعوزين، قال ابن عبد الحكم المصري " **وكان لا يضرب الجزية على النساء والصبيان، وكان يختم في أعناق رجال أهل الجزية**"[٦٥]. وقد كان الرومان يفرضون الضرائب على كل رأس حية. وفي تصرف المسلمين مزيد رحمة وتخفيف. بل كانت الجزية تخفف أو تحذف على المعوزين والفقراء، بحسب الأحوال. قال ابن عبد الحكم " يأخذ ممن صالحه من **المعاهدين** ما سمّى على نفسه، **لا يضع من ذلك شيئا ولا يزيد عليه، ومن نزل منهم على الجزية** ولم يسمّ شيئا يؤدّيه نظر عمر في أمره؛ **فإذا احتاجوا خفّف عنهم**، وإن استغنوا زاد عليهم بقدر استغنائهم"[٦٦]. فليس الناس سواسية والتعامل معهم لم يكن واحدا، وهذا من عدل المسلمين الذين كانوا يعاملون القبط كل بحسبه. فلا يدينون الجماعة بالفرد ولا الفرد بالجماعة. وهذا الختم في أعناق الرجال، وإن رأى بعض المسيحيين المعاصرين فيه نوع من الاذلال. لكنه بالنظر الى ذلك الزمن فهو ضرب من ضروب العدل والرحمة. كي لا تؤخذ الجزية من الرجل مرتين، فيصير ذلك الظلم عينه. يقول القمص أنطونيوس الأنطوني" **وبالإجمال لم يتول على مصر أمير أحسن التدبير مثله –يقصد عمرو بن العاص–**"[٦٧]

ت-الأقباط وثقل الجزية عليهم

أما ما ذكره النقيوسي من ثقل الجزية على المواطن المصري، ففيه كثير من المبالغة والشطط. فقد كان الوضع ابان الرومان أشد وأنكى. فيذكر الباحث نافتالي لويس أن معدل الضريبة على الرأس يدفعها جميع الذكور من سكان مصر من سن ١٤ سنة الى سن ٦٠ سنة ١٦ دراخمة(عملة فضية يونانية قديمة تساوي تقريبا الدينار روماني المتعامل به في مصر زمن الفتح الاسلامي). وقد كان مقدار الضريبة على الرأس يتفاوت بحسب المدن فيما بينها والقرى أيضا فيما بينها. وكان مواطنو عواصم الأقاليم يقومون بدفع ما بين ٨ و ١٢ دراخما سنويا. وبعض أجزاء طيبة ما بين ٢٤ و١٠ دراخمات سنويا. وقد تصل الى ٤٠ دراخمة كما هو الحال بالنسبة للفيوم[٦٨]. وقد تم استثناء الفئات الاجتماعية العليا، كالرومان ومواطني المدن الاغريقية واليهود وأعضاء المرسيون السكندري(المعهد العلمي للإسكندرية) وبعض كهنة المعابد الكبيرة وبعض كبار الموظفين من غير الرومان اثناء شغلهم لمناصبهم[٦٩]. ومقارنة مع قدر الجزية المفروضة على المصريين من لدن المسلمين، فقد كانت الجزية تخفيفا قدريا ورحمة مهداة من السماء. يقول البطريرك افتيشيوش بن بطريق عن المسلمين في فتح مصر "وأحصوا عدد القبط يومئذ خاصة ممن بلغ منهم الجزية. فكان جميع من أحصي ستة آلاف الف انسان(يقصد ٦ ملايين نسمة)، فكانت فرضهم اثني عشر الف الف دينار، وفرض عليهم هذه الدينارين ودفع ذلك

عن ارقباهم بالأيمان المؤكدة"[٧٠]. وما ذكره ابن بطريق هو نفسه عند ابن عبد الحكم، عن يحيى بن ميمون الحضرميّ، قال: لما فتح عمرو بن العاص مصر صولح على جميع من فيها من الرجال من القبط ممّن راهق الحلم إلى ما فوق ذلك، ليس فيهم امرأة ولا صبيّ ولا شيخ على **دينارين دينارين**، فأحصوا لذلك فبلغت عدّتهم **ثمانية آلاف ألف**"[٧١]. وعلى عد المصادر الاسلامي لابن عبد الحكم يكون عدد القبط المؤهلون للجزية هو ٤آلاف ألف(٤ملايين نسمة) بينما عددهم في المصدر المسيحي لابن بطريق بلغ (٦ملايين نسمة). والمصدر الاسلامي أدق نظرا للقرب الزمني والمكاني لابن عبد الحكم المصري –ت٢٥٧هـ–. وأيضا للتموقع الاعتباري له باعتباره ينتمي الى الفئة الغالبة(المسلمين) وليس الى المغلوبين الذين قد تتولد عندهم مصلحة في تهويل الأرقام والمداخيل الجزيوية من أجل تدعيم فرضية الاضطهاد الاسلامي والمظلومية المزعومة.

الخاتمة :

هكذا يتبين لنا في نهاية هذا البحث، أن دخول العرب لمصر كان مصلحة لها اكثر ما تكون مفسدة. نظرا لحالة التشرذم والصراع الطائفي الذي كان يسود المجتمع القبطي المصري المسيحي خلال القرن السابع الميلادي. فقد ساهم المسلمون في توحيد الطوائف المتناحرة، وطرد الاستعمار الروماني المكروه لدى الشعب القبطي والكنيسة القبطية المرقسية. كما ساهموا في توطيد العلاقة بالقبط، عن طريق اعادة اعمار مصر، وبناء مدن جديدة واقامة نظام للحكم العدل وتقديم تسهيلات جبائية وأنظمة للتعايش الاجتماعي. انتهت باعتناق أكثر القبط للإسلام حتى صاروا مادة له، وقد تشربوا معانيه، وفهموا مقاصده، واقتنعوا بتعاليمه. ومن خلالهم تكونت جيوش عظيمة عملت على نشر الاسلام في شمال افريقيا والأندلس غربا في بلاد السودان جنوبا. كما خرج من رحم القبط علماء كبار، أثروا المكتبة العلمية الاسلامية بعلوم شتى ومدارس فقهية واجتهادية قل نظيرها في غيرها من الأمصار. كما تبين لنا أن أكثر ما قيل من نهب وقتل لم يكن صحيحا، لكنها الصدمة التي تصيب الانسان جراء حصول ما لا يتوقعه. خصوصا وأن العرب لم تكن أمة قادرة على المبادرة وتحقيق الانتصارات الكبيرة كما فعلوا بفضل الاسلام، الذي غير حياتهم وأمدهم بالأمل في حياة أفضل. وجعل لحياتهم معنى. وزرع في قلوبهم حب المبادرة وارادة التغيير. ولعل رسالة هذا البحث تكمن في ضرورة احياء تلكم الروح المبادرة والأبية لدى مسلمي اليوم، وإعادة ربطهم بالإسلام بأفقه الواسع، وديناميته الخلاقة لعلهم يغيرون من حياتهم يأخذوا الاسوة الحسن من ذلك الجيل من الصحابة الذي شمروا على سواعد الجد والقوا التواكل وأعملوا التوكل فأسسوا حضارة لم تزل مصدر الهام لكثير من أجيال اليوم. والله اعلم

الهوامش

(١) منسي يوحنا، تاريخ الكنيسة القبطية، ص : ٣٩٥، –قسم: مشاهير الكنيسة– ط١، ١٩٢٤، مطبعة اليقظة بشارع الفجالة، مصر.

(٢)انظر المرجع السابق ص: ٣٩٥، ومقدمة مترجم تاريخ العالم القديم للنقيوسي، وهي للأنبا بيشوي، ص: ٧–٨، دون معلومات.

جريدة الأخبار بتاريخ الأربعاء ١٣ / ٩/ ٢٠٠٦ م السنة ٥٥ العدد ١٦٩٧٢ عن مقالة بعنوان : " مصر القديمة – شهادة يوحنا النقيوسي عن الفتح الإسلامي " بقلم الكاتب :جمال بدوي. جريدة الأخبار بتاريخ الأربعاء ٢٠٠٦/٩/٢٧م السنة ٥٥ العدد ١٦٩٨٤ عن مقالة بعنوان : "مصر القديمة – شهادة يوحنا النقيوسي : تضارب أحكام الأسقف علي حوادث الفتح الإسلامي بقلم الكاتب الكبير :جمال بدوي.

(٣) كتبه وترجمه وحققه الدكتور جورج حبيب بباوي سنة ٢٠١٤.

(٤) منسي يوحنا، تاريخ الكنيسة القبطية، ص: ٣٩٥.

(٥) لم يكن ثمت اضطهاد كما سنبين فيما بعد. لكنها نفسية المغلوب المدعاة للمظلومية ولو بغير وجه حق. بل كان تعامل المسلمين مع المصريين قمة في العدل والاحسان والرحمة. كما سيأتي بحول الله تعالى.

(٦) مقدمة الأنبا القمص بيشوي وهو مترجم تاريخ العالم القديم للنقيوسي ، ص:١١– ١٢. بتصرف يسير جدا.

(٧) تاريخ البطاركة، ساويرس بن المقفع: من مار مرقس حتى البطرك ٣٨ بنيامين الأول ٦٦١/٦٢٢م، ج١، ص، ٨٦، إعداد وتحقيق: عبد العزيز جمال الدين، مكتبة مدبولي، ط١، ٢٠٠٦.

(٨) تاريخ الكنيسة القبطية، منسي يوحنا، ص: ٢٩٥.

(٩) تاريخ العالم القديم للنقيوسي ، ص:٢٣٥.

(١٠) نقلا عن مقال مختصر لماجد كامل بعنوان "يوحنا النقيوسي شاهد عيان على الفتح العربي لمصر على الرابط التالي:

http://www.copts-united.com/Article.php?I=1473&A=70156

اطلع عليه بتاريخ ٢٠١٥/٠٤/١١.

(١١) نسبة الى مجمع كنسي، أنشئ في مدينة خلقيدونية في آسيا الصغرى. انعقد سنة ٤٥١م، للرد على اوطاخي الذي يقول بالطبيعة الالهية الواحدة للمسيح. ونجم عن هذا المجمع انشقاقٌ أدّى إلى ابتعاد الكنائس الشرقيّة (القبطيّة والأرمنيّة والسريانيّة) عن الشراكة مع الكنيستين الرومانيّة والبيزنطيّة الذين يرون أن مجمع خلقيدونية المجمع المسكوني الرابع. رفضت الكنائس الشرقيّة اصطلاح "طبيعتين" الذي كان يوازي عندهم لفظة (شخصين). وكانوا يفضلون عليها تعابير أخرى وردت عند البابا كيرلّس السكندري مثل عبارة "طبيعة واحدة" في قولته الشهيرة: "طبيعة واحدة للإله الكلمة المتجسد..". يقول الخلقيدونيون، إن كان مجمع خلقيدونية سنة ٤٥١م قد سبب شقاقًا في الكنيسة، فإنهم يرون أن ما حدث كان رد فعل لمجمع أفسس الثاني عام ٤٤٩م، ويتهم المؤرخون واللاهوتيون القديس ديوسقورس بالعنف.

(١٢) تاريخ مصر ليوحنا النقيوسي النسخة الانجليزية، ص: ٢٠١. نقلا عن كتاب أقباط مسلمون قبل محمد، للمهندس فاضل سليمان، ص: ١٠٤، تقديم وتذييل: د.محمد عمارة، شركة النور للإنتاج الاعلامي، ٢٠١٠.

(١٣) ص:٢٠٨.

(١٤) فتوح مصر والمغرب، عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم، أبو القاسم المصري، ص: ٧٤، مكتبة الثقافة الدينية، ١٤١٥ هـ.

(١٥) أقباط مسلمون قبل محمد، للمهندس فاضل سليمان، ص: ٩٤.

(١٦) مسند أحمد، ج٦، ص: ٤٨٠، تحت رقم: ٨٧٨٩، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار الحديث – القاهرة، ط٢، ١٤١٦ هـ – ١٩٩٥م. صححه الشيخ أحمد شاكر في الهامش.

(١٧)المصدر السابق، ج٦، ص: ٤٨٠، تحت رقم: ٧٠٦٤، وصححه أحمد شاكر.

(١٨) المعجم الأوسط للطبراني، ج٨، ص: ٢٩٢، تحت رقم: ٨٦٧٣، تحقيق: ارق بن عوض الله بن محمد ، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين – القاهرة.

(١٩) صحيح ابن حبان، ج١٥، ص:٦٧، ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي (المتوفى: ٧٣٩ هـ)، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م.

(٢٠) فتوح مصر والشام لابن عبد الحكم المصري، ص: ٢٢١.

(٢١) أخرجه البخاري في صحيحه، ج٥، ص:١٣٤. باب غزوة خيبر.

(٢٢) حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، ج١، ص:١٢٥-١٢٦، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية – عيسى البابي الحلبي وشركاه – مصر، ط١، ١٣٨٧ هـ – ١٩٦٧ م.

(٢٣) أستاذة التاريخ الإسلامي، كلية البنات جامعة عين شمس ، في كتابها، عبد العزيز بن مروان، سلسلة أعلام العرب رقم ٧٠ إصدار وزارة الثقافة، ص ١٣٢ .

(٢٤) ص:٢٠٩.

(٢٥) ص: ٢١٨.

(٢٦) ص: ٢٠٩.

(٢٧) من اصدارات دار اليازوري بعمان سنة ٢٠١٥.

(٢٨) ص: ٢١٥-٢١٦.

(٢٩) ص:٢٣٥.

(٣٠)أقباط مسلمون قبل محمد، للمهندس فاضل سليمان، ص: ٩٧. في الهامش.

(٣١) ص: ٢٠٩.

(٣٢) ص:٢٠٧.

(٣٣) ص: ٢١١.

(٣٤) ص: ٢١٧.

(٣٥) أخرجه مسلم في صحيحه، ج٤، ص: ١٩٧٠، تحت رقم:٢٢٩، بَابُ وَصِيَّةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَهْلِ مِصْرَ، تحقيق: أحمد فؤاد عبد الباقي
دار إحياء التراث العربي – بيروت.

(٣٦) أخرجه أحمد في المسند، ج٣٥، ص:٤٠٩، تحقيق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م.

(٣٧)المصدر السابق، ج٣٩، ٥٠٧.

(٣٨)المصدر السابق، ج١٠، ص:١٧٣.

(٣٩) أخرجه سعيد بن منصور في سننه، ج٢، ص:٢٨١، باب ما جاء في قتل النساء والولدان، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، الدار السلفية – الهند، ط١، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٢م.

(٤٠) أخرجه سعيد بن منصور في سننه، ج٢، ص:٢٨٠، بَابُ مَا جَاءَ فِي قَتْلِ الرُّهْبَانِ وَالشَّمَامِسَةِ.

(٤١)أخرجه البيهقي في السنن الكبرى، ج٩، ص:١٥٣، باب ترك قتل من لاقتال فيه من الرهبان، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنات، ط٣، ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣ م.

(٤٢) وطنية الكنيسة القبطية وتاريخها: من بعد الآباء الرسل حتى الانتداب البريطاني على مصر(منذ ١٥٠م الى عام ١٨٨٢م)، ص:٥٧.

(٤٣)المرجع السابق، ص: ٦٤.

(٤٤) ص:٦٦.

(٤٥) تاريخ العالم القديم للنقيوسي، ص:٢١٢.

(٤٦)المصدر السابق، ص:٢١٦.

(٤٧)المصدر السابق، ص: ٢٠٩.

(٤٨) نسبة إلى الطائفة الملكانية وهم من كانوا يتبعوا المذهب الملكاني وهو مذهب الدولة الرومانية الأرثوذكسية الشرقية وحزب الملك والبلاد. وعقيدة الملكانيين هي ازدواج طبيعة المسيح.

(٤٩)المصدر السابق، ص: ٢١٥.

(٥٠) في كتابه تاريخ الكنيسة القبطية، ص:٣٠٦

(٥١) محض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، يوسف بن حسن بن أحمد جمال الدين، ابن المبرد الحنبلي (المتوفى: ٩٠٩هـ)، ج٢، ص: ٤٧٣، تحقيق: عبد العزيز بن محمد بن عبد المحسن، نشر عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠ م.

(٥٢) تاريخ المدينة لابن شبة، عمر بن شبة (واسمه زيد) بن عبيدة بن ريطة النميري البصري، أبو زيد (المتوفى: ٢٦٢هـ)، ج٣، ص:٨٠٦، تحقيق: فهيم محمد شلتوت، طبع على نفقة: السيد حبيب محمود أحمد – جدة، نشر عام ١٣٩٩ هـ.

(٥٣)المرجع السابق، ص: ٣٠٧.

(٥٤)سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: ٢٧٥هـ)، ج٣، ص: ١٦٩، باب في التشديد في جباية

الجزية، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت. وصححه الألباني.

(٥٥) تاريخ العالم القديم، ص: ٢٠٩.

(٥٦) المصدر السابق، ص: ٢٢٥.

(٥٧) المصدر السابق، ص: ٢٣٣.

(٥٨) المدونة، لسحنون التنوخي، ج١، ص:٣٣٣، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٥هـ – ١٩٩٤م.

(٥٩) بداية المجتهد ونهاية المقتصد، أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد القرطبي الشهير بابن رشد الحفيد ، ج٢، ص:١٦٨، دار الحديث – القاهرة بدون طبعة، ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤ م.

(٦٠)حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، جلال الدين السيوطي، ج١، ص:١٢٩.

(٦١)حقائق عن اضطهاد الرومان لأقباط مصر، مقالة لأحمد عثمان، منشورة بجريدة الشرق الأوسط، يوم الأحد ١٦ ربيع الثاني ١٤٢٢ هـ، ٨ يوليو ٢٠٠١ العدد: ٨٢٥٨.

(٦٢) تاريخ العالم القديم، ص٢٣٣.

(٦٣)المصدر السابق، ص:٢٣٣.

(٦٤) المصدر السابق، ص: ٢٣٤.

(٦٥) فتوح مصر والشام، ص:١٧٧.

(٦٦) المصدر السابق، ص: ١٧٧.

(٦٧) وطنبة الكنيسة القبطية، ص: ٦٣.

(٦٨) الحياة في مصر في العصر الروماني ٣٠ق.م–٢٤٨م، ص:١٩١، ترجمة وتعليق: دكتورة آمال محمد محمد الروبي، مراجعة: دكتور محمد حمدي ابراهيم، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، ط١، ١٩٩٧.

(٦٩)المرجع السابق، ص: ١٨٩–١٩٠.

(٧٠)التاريخ المجموع على التحقيق، ص: ٢٧٥.

(٧١) فتوح مصر والشام، ص: ١١١.

قائمة المصادر والمراجع :

الكتب العربية :

القرآن الكريم

١. تاريخ المدينة لابن شبة، عمر بن شبة (واسمه زيد) بن عبيدة بن ريطة النميري البصري، أبو زيد (المتوفى: ٢٦٢هـ)، تحقيق: فهيم محمد شلتوت، طبع على نفقة: السيد حبيب محمود أحمد – جدة، نشر عام ١٣٩٩ هـ.

٢. بداية المجتهد ونهاية المقتصد، أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد القرطبي الشهير بابن رشد الحفيد ، دار الحديث القاهرة، بدون طبعة، ١٤٢٥هـ ٢٠٠٤ م.

٣. البطريرك سعيد ابن بطريق في كتابه التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق، مطبعة الآباء اليسوعيين، طبع بيروت، ١٩٠٥.

٤. تاريخ البطاركة، ساويرس بن المقفع: من مار مرقس حتى البطرك ٣٨ بنيامين الأول ٦٢٢/٦٦١م، إعداد وتحقيق: عبد العزيز جمال الدين، مكتبة مدبولي، ط١، ٢٠٠٦.

٥. تاريخ العالم القديم للنقيوسي، وهي للأنبا بيشوي، دون معلومات.

٦. تاريخ الكنيسة القبطية، منسي يوحنا، ، قسم: مشاهير الكنيسة ط١، ١٩٢٤، مطبعة اليقظة بشارع الفجالة نمرة ٤٨ بمصر.

٧. حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه – مصر، ط١، ١٣٨٧ هـ ١٩٦٧ م.

٨. الحياة في مصر في العصر الروماني ٣٠ق.م٢٤٨م، ترجمة وتعليق: دكتورة آمال محمد محمد الروبي، مراجعة: دكتور محمد حمدي ابراهيم، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، ط١، ١٩٩٧.

٩. السنن الكبرى، للبيهقي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنات، ط٣، ١٤٢٤ هـ ٢٠٠٣ م.

١٠. السنن، سعيد بن منصور، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، الدار السلفية – الهند، ط١، ١٤٠٣هـ -١٩٨٢م.

١١. صحيح ابن حبان، ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي (المتوفى: ٧٣٩ هـ)، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.

١٢. صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج النيسابوري، تحقيق: أحمد فؤاد عبد الباقي دار إحياء التراث العربي – بيروت.

١٣. عبد العزيز بن مروان، سيدة إسماعيل كاشف، سلسلة أعلام العرب ، العدد:٧٠، إصدار وزارة الثقافة.

١٤. عن الروح القدس، القديس باسيليوس، ترجمه وحققه الدكتور جورج حبيب بباوي سنة ٢٠١٤.

١٥. فتوح مصر والمغرب، عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم، أبو القاسم المصري، مكتبة الثقافة الدينية، ١٤١٥ هـ.

١٦. كتاب أقباط مسلمون قبل محمد، للمهندس فاضل سليمان، تقديم وتذييل: د.محمد عمارة، شركة النور للإنتاج الاعلامي، ٢٠١٠.

١٦. محض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، يوسف بن حسن بن أحمد جمال الدين، ابن المبرد الحنبلي (المتوفى: ٩٠٩هـ)، تحقيق: عبد العزيز بن محمد بن عبد المحسن، نشر عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠ م.

١٧. المدونة الكبرى، لسحنون التنوخي، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٥هـ ١٩٩٤م.

١٨. المسند، أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢١ هـ ٢٠٠١ م.

١٩. المعجم الأوسط للطبراني، تحقيق: ارق بن عوض الله بن محمد ، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين – القاهرة

٢٠. وطنية الكنيسة القبطية وتاريخها: من بعد الآباء الرسل حتى الانتداب البريطاني على مصر(منذ١٥٠م الى عام ١٨٨٢م)، القمص أنطونيوس الأنطوني، ط٢، دون معلومات أخرى.

المجلات والجرائد والمقالات

١. جريدة الأخبار بتاريخ الأربعاء ١٣ / ٩/ ٢٠٠٦ م السنة ٥٥ العدد .١٦٩٧٢

٢. جريدة الأخبار بتاريخ الأربعاء ٢٠٠٦/٩/٢٧م السنة ٥٥ العدد .١٦٩٨٤

٣. جريدة الشرق الأوسط، يوم الأحد ١٦ ربيع الثاني ١٤٢٢ هـ، ٨ يوليو ٢٠٠١ العدد ٨٢٥٨.

المواقع الالكترونية

http://www.coptsunited.com/Article.php?I=1473&A=70156